صلاح قبضايا

الصحف اليومية المصرية في القرن التاسع عشر



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٢

اهداءات ٢٠٠١

المستشار/ رابح لطفي جمعة

القاهرة

مقدمة

قبل أن يمضى عنا القرن الميلادى التاسع عشر كان فى مصر ٢٠٠ دورية تصدر بانتظام بينها صحف يومية ـ صباحية ومسائية ـ يزيد عددها على ٦٠ صحيفة منها صحف واسعة الانتشار مثل الاتحاد المصرى والأخبار والأهرام والمقطم والمؤيد ومصر • وازداد اعتماد الصحف على التوزيع اليومى بعد أن كان كل اعتمادها على الاشتراكات التى كان يتحملها وجهاء القوم باعتبارها « أريحية » • غير أن ذلك تغير بتطور الصحف اليومية فأقبل الناس على شراء الصحف من البائعين وأصبح ذلك عادة رفعت من أرقام التوزيع اليومى للصحف فى عهد عباس حلمى الثانى الى أكثر من ١٠٠ ألف نسخة ، بل وبلغت أرقام توزيع الصحف اليومية وحدها خلال الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر ـ وخلال حملات السودان الى ما يقرب من ضعف هذا العدد • وبدأت الصحف فى استخدام مطابع الروتاتيف لمواجهة عصر مئات الألوف الذى أقتحمته قبل بداية القرن العشرين • وكانت جريدة المؤيد هى أول جريدة مصرية تستخدم مطابع الروتاتيف ، وكانت هى أيضا أوسع الصحف اليومية المصرية انتشارا وحتى نهاية القرن الماضى •

لقد تحقق لمصر منذ قرن من الزمان نهضة صحفية حقيقية ، وأصبحت صحفها هي أشهر الصحف في الشرق ، بل وكان منها ما ينازع صحف الغرب ، وكان مرجع ذلك الى أخذ الصحف المصرية بالتقاليد الصحفية الفرنسية التي تبيح للصحف الطعن في الشخص العام بشرط أن تقدم الدليل على صحة الوقائع المسندة اليه ، كما كان القانون الانجليزى كذلك يبيح الطعن في الموظف العمومى أو السلطة مادام الهدف من ذلك هو تحقيق الصالح العام ٠

وعكست الصحف اليومية المصرية خلال تلك الفترة الصراع الدولى والتنافس الأوربى خاصة حول أفريقيا السوداء ومنابع النيل ٠ وكان من بين الصحف المصرية من يدافع عن وجهة نظر فرنسا ، ومن يتبنى اتجاهات الباب العالى ، بالاضافة الى الصحف التي كانت تنطق بلسان الاستعمار والتى كان اللورد كرومر يقدم لها كل عون مادى وأدبى لتقف في مواجهة الصحف المعارضة ٠

وقد استخدم كرومر ما عرف بعد ذلك ـ في الدراسات الصحفية الحديثة ـ باسم « سلاح المصادر » حيث احتكرت الصحف الموالية له كل المعلومات وأصبح من المحظور على كافة المصادر تقديم أية معلومات الى الصحف المعارضة عامة ـ وبالذات صحيفة المؤيد ٠ وبلغ هذا الحظر ذروته خلال حملات السودان التي جذبت اهتمام القراء وأدت الى مضاعفة توزيع الصحف مما دفع كل الصحف الى ايفاد مراسلين حربيين لها لمرافقة الحملة ٠ ولم يمنع سلاح المصادر صاحب المؤيد ـ الشيخ على يوسف ـ من أن يضاعف نشاطه الاخبارى ليحقق ضربات صحفية رائعة وينفرد بنشر أدق أسرار الحملة مما دعا كرومر الى تقديمه للمحاكمة في القضية التي عرفت باسم « قضية التلغرافات » ٠

وكما عرفت مصر فى القرن التاسع عشر الصحف القومية ـ المؤيدة والمعارضة ـ المطبوعة على مطابع الروتاتيف وذات الانتشار الواسع والفن الصحفى المتقدم ، فقد عرفت صحف ذلك الوقت ـ بدورها ـ السبق الصحفى الاخبارى والحملات الصحفية والمراسلين الحربيين والرسائل الخارجية والتحقيق الصحفى بالاضافة طبعا الى المقال الصحفى ٠

وهكذا كانت لصحافة مصر جذور ثابتة ، وتاريخ حافل ، وتقاليد راسخة جعلتها دائما تصمد أمام كل محاولات الكبت والاضطهاد ٠

« المؤلف »

الصحافة المصرية بين عرابى وكرومر

الصحافة المصرية بين عرابى وكرومر

شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى فترة من أهم فترات تاريخ وادى النيل الحديث ، فقـــد توالت الأحداث الجسام التي اهتزت لها البلاد والتى تركت أثرها وبصـماتها على حياة كل من عاش هذه الفترة على أرض مصر ، اذ شهدت هذه الفترة الثورة العرابية عام ١٨٨١ وبداية الاحتلال البريطـــانى لمصر عام ١٨٨٢ ، والثورة المهدية فى سودان وادى النيل والتى أعقبها اخلاء الجيش المصرى من السودان ، ثم تحول السياسة البريطانيـــة من الضغط على مصر لاخلاء السودان الى تبنى سياسة استرجاع السودان المصرى عام ١٨٩٦ ٠

كما شهدت هذه الفترة من تاريخ أفريقيا صراعا دوليا حول فرض السيطرة الأجنبية وازدياد النفوذ الأوربى فى القارة ، وكانت أرض مصر والسودان ميدانا من ميادين هذا الصراع الدولى ، بل ومسرحا للأطماع الدولية وهدفا للسيطرة الأجنبية ٠

وظهرت فى المنطقة تيارات متعددة ، بل ومتضاربة فى كثير من الأحيان ٠ لقد كان هناك النفوذ العثمانى الذى بدأ تياره فى الانحسار وان بقى يستمد قوته من الأمر الواقع الذى ظل يشكل طبيعة العلاقة بين مصر والدولة العثمانية اعتمادا على أن السلطان العثمانى هو صاحب الولاية الشرعيـــة على مصر ٠ وكانت هناك الوطنية المصرية التى بلغت ذروتها خلال الثورة العرابية ، والتى

لم يؤد انتكاسها واحتلال القوات البريطانية لمصر الى القضاء عليها ، فبقى التيار الوطنى عنصرا قويا من العناصر المؤثرة على مسرح الأحداث فى المنطقة • وكانت هناك التيارات الأوربية التى تحركها المصالح الاستعمارية ومطامع النفوذ الغربى ، وكان لهذه التيارات الأوربية اتجاهان رئيسيان •• تتزعم الأول بريطانيا التى تعمل على توطيد دعائم امبراطوريتها التى لا تغيب عنها الشمس والاتجاه الثانى تتزعمه فرنسا التى تعمل من أجل دعم نفوذها فى أرجاء العالم • وكما أن الاتجاهين ـ البريطانى والفرنسى ـ لم يفقدا فى بعض الأحيان نقطة التقاء تتفق فيها مصالحهما المتعارضة ، فقد كانت هناك اتجاهات أخرى تتفق مع هذا الاتجاه ، أو ذاك ، وتجد لنفسها بعض الأثر على مسرح الاحداث في المنطقة ، ومن أمثلة ذلك ألمانيا وروسيا وهما عضوان فى صندوق الدين المصرى الذى قدم اليه طلب تمويل حملة استرجاع السودان ، كما كانت ايطاليا أيضا تخوض معركتها الاستعمارية فى الحبشة والتى كانت لهزائمها وانتصاراتها هناك آثار مباشرة على سير الأحداث وتطورها فى مصر والسودان •

وتتميز هذه الفترة من تاريخ وادى النيل بالتأثير الواضح للرأى العام ـ سواء فى مصر أو أوربا ـ على سير الأحداث وعلى صنع القرار ، الى الحد الذى جعل الكثيرين من المؤرخين يضعون من بين أسباب قرارات وتحركات هذه الفترة تأثير الرأى العام وضغطه ، وكان من بين الأسباب التى حدت ببريطانيا الى تغيير موقفها بالنسبة للسودان ودفعت بها الى تأييد سياسة الاسترجاع وهو ما نشر حول أحوال السودان بعد اخلائه من كتابات الأب

أوهروالدر (١) ، وكتاب سلاطين باشا (٢) الذى نشر بعدة لغات في أنحاء العالم وأظهر مدى سوء الحال الذى يعيش فيه السودانيون فى ظل حكومة التعايش وغير ذلك مما نشرته جمعية الدراسات النيلية بباريس والتى أكدت نشراتها أن حسن الانتفاع بمياه النيل لا يتأتى الا ببحث مشروعات النيل من منبعه الى مصبه ، وما كتبه صمويل بيكر حول هذا المعنى · وكان لكتابات أوهروالدر وسلاطين فى مصر نفس الأثر فى اقناع المصريين بضرورة انقاذ السودانيين من طغيان حكومة الخليفة ·

وفى مصر كان الرأى العام يعبر بصدق عن التيار الوطنى الذى ظل له تأثيره رغم سيطرة الاحتلال البريطانى وتولى الانجليز مقاليد الأمور كلها ، وكان للأحداث التى سبقت الاحتلال البريطانى وعاصرته ، أثرها فى نضج الرأى العام المصرى وازدياد قوته لدرجة أنه أصبح قوة ضغط تواجه الوجود البريطانى ·

واذا كانت وسائل الاعلام المختلفة هى التى تصنع اتجاهات الرأى العام وتؤثر فيه ، وأن هذه الوسائل تضم الآن الصحافة والاذاعة والتليفزيون والسينما ، فاننا خلال القرن التاسع عشر لا نجد من هذه الوسائل سوى الصحافة التى احتكرت الميدان والتى كان لها الأثر الأول والأكبر فى الرأى العام وفى التأثير عليه ، مما يبرز الأهمية البالغة للصحف خلال تلك الفترة ·

ودفع ذلك جميع العناصر الى اصدار صحف تعبر عن آرائها وتدافع عن مصالحها تجاه القضايا والأحداث ، حتى أصبحت الصحف هى أول نشاط جماهيرى منظم لهذه العناصر ، وتطور الأمر بعد ذلك لتقوم الأحزاب المصرية منطلقة من صحافتها ، وليس كما قد نتصور أن الأحزاب المصرية قامت أولا ثم تبع ذلك انشاء صحفها

(١) Ohrwalder, J. : Tenyeats' Caplivity in the Mahdist Camp, London 1892.

(٢) Slatin, R., : Fire and Sword in the Sudan, London (1893).

الحزبية ، وهذا ما دعا الباحث البريطانى « جاكوب لاندو » (١) الى ان يطلق على الاتجاهات السياسية التى تعبر عنها الصحف المختلفة ـ منذ الثورة العرابية ـ اسم « الأحزاب » حيث لم تكن الصحف السياسية المصرية مجرد وسائل لنشر الآراء والاتجاهات المختلفة بقدر ما كانت منبع أفكار هذه الاتجاهات وعقلها المدبر ، ولهذا فانه من الممكن أن نعتبر قيام الصحافة الحزبية قد سبق التكوين الرسمي والقانونى للأحزاب المصرية ٠

وقد وجدنا فى مصر ـ وقبل قيام الأحزاب ـ صحفا وطنية تصدت للاحتلال البريطانى وعارضته ، كما كانت هناك صحف مؤيدة للاحتلال عاونتها السلطات البريطانية على التصدى للتيارات الوطنية التى حملت الصحف الأخرى لواءها ، كما ظهرت الصحف ذات الميول الفرنسية والتى كانت تتفق وتختلف مع الصحف الوطنية بالقدر الذى يخدم معارضتها للسياسة البريطانية فى المنطقة خدمة لمصالح فرنسا ، كما كانت هناك تيارات صحفية مؤيدة للسلطان العثمانى الذى كان يتلمس الوسائل لاستعادة سلطانه المتضائل فى مصر والذى لم يستطع من قبل اخفاء تعاطفه مع رجال الثورة العرابية ، ثم استمر بعد ذلك فى محاولة التفاوض مع بريطانيا من أجل التعجيل بالجلاء عن مصر ٠ وليس معنى ذلك أن جميع الصحف المصرية فى ذلك الوقت كانت تدخل ضمن هذه التقسيمات ، فقد كانت هناك أيضا صحف ليس لها لون محدد أو موقف بعينه أو أنها استطاعت فى كثير من الأحيان أن تخفى حقيقة اتجاهاتها متسترة بستار الحيدة والحقيقة المجردة ، أو أنها تقلبت بين أكثر من اتجاه حتى بهت لونها وصعب تمييزه وتحديده، كما أن ذلك أيضا لا يعنى أن كل صحيفة التزمت بخط معين لم تحد عنه أو استمرت ثابتة على موقف واحد ، فقد غيرت بعض

---

(١) Landau :Parliaments and Parties in Egypt, London (1954) p. 96-97.

الصحف من مبادئها التى أعلنتها وربما كان ابرز مثال لذلك هو جريدة « المؤيد » وقد كان صاحبها الشيخ على يوسف من ألد أعداء الاحتلال البريطانى ومن أصدق المخلصين للخديو المطالبين بسرعة جلاء القوات البريطانية عن مصر ، ثم مالبث الشيخ أن انقلب على صاحبه وأصبح من المؤيدين للاحتلال والمنادين ببقاء القوات البريطانية فى مصر (١) .

وخلال هذه الفترة نجد أن الرأى العام فى مصر كان عنصرا قويا ومؤثرا ، مما حدا بسائر القوى المختلفة - وطنية كانت أم دولية - الى العمل على استمالته والتأثير فيه ، ولم يكن من وسيلة لديها سوى الصحافة المصرية التى كانت قد بلغت من النضج والتطور ما ضاعف من خطورتها خاصة أنها كانت تتمتع بقدر واسع من الحرية وسعة الانتشار .

ويرى بعض الباحثين أن الحرية التى تمتعت بها الصحافة المصرية خلال هذه الفترة كانت حرية ظاهرية منحها لها حاكم مصر الفعلى فى ذلك الوقت اللورد كرومر الذى كان يدعم « المقطم » باعتبارها الجريدة الاستعمارية ويأمر بتزويدها بجميع الأخبار والأسرار بينما صبر على الصحافة المناوئة وأفسح لها صدره باعتبارها صحافة عزلاء فقيرة ليس لها خطر فعلى خاصة أن قانون العقوبات قد وقف لها بالمرصاد (٢) ، بينما رأى البعض أن كرومر كان يؤمن فعلا بحرية الصحافة وبأن الرأى المعارض مهما علا صوته فهو صمام أمن

---

(١) راجع ابراهيم عبده - اعلام الصحافة فى مصر (القاهرة ، ١٩٤٤) .

(٢) عبد اللطيف حمزة - أدب المقالة الصحفية فى مصر - الجزء الرابع (القاهرة ١٩٥٤) - ص ١٠٥ .

ومحمود أمين عبده - مقال بمجلة الشباب - العدد الثانى - بتاريخ ١٩٣٦/٢/٢٤ - ص ٤٣ ، ٤٤ .

وسامى عزيز - الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى - القاهرة ١٩٦٨) - ص ٧٩ .

وعنصر من عناصر القرار السليم ، فضلا عن أنه الوسيلة السليمة لنقل صوت الشعب ، وأن اطلاق حرية الصحافة وتحريرها من ربقة الحكومة وسيطرتها كانت شجاعة فائقة من اللورد كرومر الذى كان الحاكم المطلق لمصر (١) .

وقد استغل اللورد « كرومر » حملات السودان كوسيلة لدعم الصحف التى تؤيده ـ وبالذات صحيفة المقطم ـ ومعاقبة الصحف المعارضة ـ وبالذات صحيفة المؤيد ـ وأصدرت نظارة الحربية « أمرا بعدم اعطاء أية معلومات تتعلق بالحملة المصرية على السودان للجريدة لتستطيع الحكومة بذلك أن تذيع الأنباء التى تريدها وفق ما تشتهى فى صحيفة المقطم » .

ولكن صاحب المؤيد الشيخ على يوسف الذى كان يعلم مدى أهمية وخطورة أنباء الحملة بالنسبة للقارىء المصرى ، ومدى الأثر الخطير الذى ينجم عن اهمال جريدته لأنباء الحملة ، لجأ الى استقاء الأخبار بوسائل صحفية متعددة ، وقد نشر نصوص بعض البرقيات السرية الواردة من قائد الحملة الى نظارة الحربية مما ترتب عليه تقديمه للمحاكمة عقب نشره نص برقيــــة من السردار الى ناظر الحربية حول خسائر الحملة وسوء أحوالها وعرفت هذه القضية باسم « قضية التلغرافات » (٢) .

وقد اعتمدت الأبحاث والدراسات التى تناولت تاريخ هــذه الفترة على أسلوب واحد فى المعـــالجة ، قوامه موقف الحكومات والسلطات الرسمية والقوى السياســـية دون أن تتعرض بصورة مباشرة للرأى العام ـ أثره وتأثره ـ بتلك الأحداث ، وهذا هو وجه الأهمية والجدة فى هذه المعالجة ، خاصة أن تعدد الصحف وتباين تياراتها وتمتعها بالحرية يوفر لنا دراســـة جديدة لموقف القوى

(١) عمر الدسوقى ـ فى الأدب الحديث ـ الجزء الثانى ـ الطبعة الرابعة (القاهرة ١٩٦١) ـ ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) جريدة « المؤيد » ـ ٢٨ يولية ١٨٩٦ .

الدولية المختلفة ، وللاتجاهات المصرية المتعددة وللرأى العام المصرى واتجاهاته المختلفة ، ومدى تأثره بالأحـــداث ومدى تأثيره فيها وعليها •

وفضلا عن ذلك ، فان معظم الدراسات والبحوث التاريخية لا تعتمد على الصحف كأحد مصادر البحث ومراجعه التى يجب أن تكون محل دراسة المؤرخ بعد أن يخضـــعها لعمليات التحليـــل والاستنباط التى يخضع لها سائر مراجعـــه الأخرى ، خاصة أن الصحافة تعد مصدرا غنيا بالتفاصــــيل مما جعل بعض المدارس الصحفية الحديثة تطالب الصحفى بأن يضع فى اعتباره عند تحرير جريدته أنها ستكون فى المستقبل أحد مصادر التاريخ •

وهذا لا ينفى أن كثيرا مما ينشر تكون وراءه أغراض شخصية أو حزبية أو دعائية مما يجعل التحريف شيئا مألوفا خاصة خلال الأزمات السياسية ، وتقع مسئولية الفحص والتمحيص العلمى على عاتق المؤرخ وليس على الصحفى الذى يعفيه الكولونيـــل « جورج هارفى » « George Harvey » من هذه المسئولية عندما قال : « ان الصـــحافة لا يمكن أن تكون تاريخـــا أبدا ، فنشـــاطها الذى لا ينقطع يسلبها ميزات التمحيص العـــــلمى » ، كما أن الأخبار الصحفية لا تكتب مباشرة لمؤرخى المستقبل وانما لقراء اليوم مما يوجب الرجـــوع الى أكثر من صحيفة معــــاصرة ليمكن بواسطة الاستقصـــاء العلمى ، الموازنة بين الروايات المختلفـــة وترجيح احداها (١) •

وقد كانت الظروف الدولية حتى سنة ١٨٩٢ تضـــغط على بريطانيا للجلاء عن مصر ، وكانت بريطانيا تصرح بأن احتلالهـــا

---

(١) حسنين عبد القادر ـ الصحافة كمصدر للتاريخ ـ (القاهرة : ١٩٥٨) ـ ص ٢٢٣ •

لمصر اجراء مؤقت خاصة أنها دخلت مع الباب العالى منذ سنة ١٨٨٧ فى مفاوضات بشأن الاتفاق على الجلاء عن مصر ٠

وعندما تغير الموقف بعد ذلك ، أصبحت بريطانيا تنظر الى احتلالها لمصر على أنه أمر مستمر لمدة طويلة ، فبدأت تسعى لتحقيق الاستقرار للاقتصاد المصرى وتأمين حدود مصر الجنوبية مما غير موقفها ازاء الحركة المهدية فى السودان ، كما كان من أسباب اتجاه بريطانيا الى اقرار فكرة الاسترداد ما أثير فى الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر حول ضبط النيل وضرورة بحث مشروعاته من المنبع الى المصب ليمكن الاستفادة بمياهه فضلا عن ظهور نظرية امكان التحكم فى مياه النيل بواسطة أى قوة تسيطر على السودان ٠

وكانت بريطانيا تنظر بقلق بالغ الى تسابق الدول نحو اقتطاع أطراف السودان والتوغل فى أرضه سواء محاولات ألمانيا أو ايطاليا أو بلجيكا أو الحبشة وبصفة خاصة فرنسا التى بلغت أطماعها حد التطلع نحو احتلال فاشودة ٠

وخلال هذه الفترة كانت الصحافة المصرية قد نضجت بعد أن أكملت من عمرها مايزيد عن نصف قرن ، وبعد أن بدأت تأخذ بأساليب الصحافة والطباعة الحديثة . فبدأت هى الأخرى تلعب دورا هاما ورئيسيا فى توجيه السياسة ٠

وقد بدأ تاريخ الصحافة فى مصر عندما أصدر محمد على والى مصر أمره سنة ١٨٢٧ باصدار جرنال الخديو ، وقد كان فى الواقع يهدف الى اصدار نشرة خاصة لاطلاعه هو نفسه ونفر من خاصته على شئون البلاد وماليتها ، ولكن محمد على لم يلبث أن لمس حاجة الشعب الى الاطلاع على أعمال الحكومة فأمر بتوسيع نطاق جرنال الخديو الذى تحول الى صحيفة « الوقائع المصرية » اعتبارا من ديسمبر ١٨٢٨ وكانت توزع على من يسدد الاشتراك من موظفى

الحكومة الذين يتقاضون ألف قرش فأكثر شهريا ، وتلا ذلك ظهور الجريدة العسكرية عام ١٨٣٣ (١) ، وتعتبر صحف تلك الفترة بمثابة نشرات رسمية ، حيث ولدت صحافة مصر في كنف الحكام وبأموالهم ونمت بسلطانهم وخضعت لتوجيهاتهم الى أن ظهرت الصحافة الشعبية في عهد سعيد باشا (١٨٥٤ ـ ١٨٦٣) الذى سعى الى التقرب من قلوب المصريين عندما باعدت سياسته وتصرفاته بينه وبين السلطان ، كما أوفد السلطان الى مصر اسكندر شلهوب ليصدر صحيفة « السلطنة » عام ١٨٥٧ من أجل لفت أنظار المصريين الى الباب العالى ٠

وقبل أن تختفى « السلطنة » كانت جرائد الرأى قد ظهرت فى مصر ،ثم كان عصر اسماعيل عصر نهضة شاملة نتيجة فوزه بثمرة البعثات العلمية التى كان محمد على قد أوفدها ٠ وأوحى اسماعيل ـ الذى ولع بتقليد الأوروبيين ـ الى « أبو السعود » باصدار صحيفة وادى النيل سنة ١٨٦٦ وهو نفس العام الذى أنشأ فيه مجلس شورى النواب ، لتكون مدافعا عنه ضد جريدة « الجوائب » التى كانت تصدر بالقسطنطينية ، ثم صدرت مجلة « نزهة الأفكار » لابراهيم المويلحى سنة ١٨٦٩ لتكون باكورة صحافة مصرية المنهج ، ولكن الخديو اسماعيل لم يلبث أن ألغاها (٢) ، ثم عاد يشجع النهضة التى حمل لواءها السوريون واللبنايون الذين هاجروا الى مصر هربا من تعسف السلطان عبد الحميد ، وقد اتسمت هذه النهضة

---

(١) راجع ابراهيم عبده ـ تاريخ الوقائع المصرية ـ (القاهرة ١٩٤٢) ـ ص ١١/٩ ٠

وعبد اللطيف حمزة ـ الصحافة المصرية فى مائة عام ـ (القاهرة ١٩٦٠) ـ ص ١٢/١٠ ٠

(٢) راجع فيليب دى طرازى ـ تاريخ الصحافة العربية الجزء الأول ـ (بيروت ١٦١٣) ـ ص ٦٩ ٠

بالنشاط الصحفى والمسرحي وازدهرت بذلك فى مصر الصحف الشعبية التى كان من بينها صحف مصرية خالصة ، وأخرى تولتها الأقلام والعقول التى نزحت من الشام مثل الأهرام ، وان جمع بينها روح الاصلاح واعداد البلاد الشرقية لاستقبال النهضة الأوربية الحديثة .

وشهد عام ١٨٧٧ الحرب التركية الروسية التى كان لها أثرها فى تطور الصحافة المصرية فقد عمدت الصحف الى سرد أحداث الحرب ولم تعد مقصورة على الأخبار التقليدية التافهة ، بل تناولت أخبار السلطان والدولة العثمانية وأحوال الأمم وخاضت فى الأمور السياسية ، ولاقى ذلك تشجيع الحكومة المصرية التى عمدت الى غض النظر عن كل ما تنشره الصحف ويمس الدولة العلية ، وهكذا تطورت الصحافة المصرية وانتقلت الى جو الحرية وتولت الدفاع عن شئون مصر الدولية .

ثم كان تشجيع السيد جمال الدين الأفغانى لتلاميذه على احتراف الصحافة والكتابة فيها وكان من بينهم أديب اسحق ويعقوب صنوع ، فأصدر الأول جريدة « مصر » سنة ١٨٧٧ وجريدة « التجارة » بالاسكندرية سنة ١٨٧٩ ، وأصدر الثانى جريدة « أبو نظارة زرقاء » سنة ١٨٧٧ . وكان لحركة الأفغانى الصحفية ولتلاميذه أكبر الأثر فى تنبيه الأذهان الى أصول المسائل وتعويد الناس الجرأة على الحكام واظهار مكائد الأجانب وجشعهم بالاضافة الى تكوين جيل من الكتاب قادر على تناول كل الأفكار بلغة جديدة (١) .

وازدادت أهمية الصحافة المصرية منذ هذه الفترة عندما تشبع

(١) عمر الدسوقى ـ مرجع سابق ـ الجزء الأول (القاهرة ١٩٤٨) ـ ص ٢١١ .

الناس بآراء كتابها وبدأوا يقتبسون منهم ويروون عنهم ، وهـذا ما دعا كرومر الى اعتبار صحافة هذه الفترة مسئولة عن تخلخل حالة الرضا والطاعة التى كانت من مميزات المصريين الموروثة (١) .

وبدأت الصحافة المصرية تنقل الى القارىء المصرى أفكار وآراء الثورة الفرنسية ، وكان لأديب اسحق فضل كبير فى هذا المجـال ، كما تولت الصحف الدفاع عن الحركة الدستورية ، وبدأت تظهر الصحف الساخرة ليقع الخديو اسماعيل فريسة صراع عنيف بين فكرة الحرية والنقل عن أوربا وبين ما ورثه عن آبائه وأجداده من احتكار للشعب فبات يشجع الصحف الشعبية ويساعد على نشرها ثم يعود فيغلق جريدة « نزهة الأفكار » سنة ١٨٦٩ (٢) .

وعندما تولى الخديو توفيق ، واجهت الصحافة المصرية نكسة تمثلت فى رفض الخديو للاصلاحات الدستورية رغم أنه كان — من قبل — مؤيدا لحركة الاصلاح الدستورى ، وعانت الصحافة من هذه الانتكاسة عندما أمر الخديو بنفى السيد جمال الدين وألزم الصحف بنشر الخبر ، وامتنعت عن نشره صحيفة واحدة هى « مرآة الشرق » فأصدر الخديو توفيق الذى كان يتولى أيضا رئاسة الوزارة أمره بتعطيلها ، وبدأ ما يمكن تسميته بعهد ارهاب الصحف ، فأغلقت « مصر الفتاة » ، و « مصر » و « التجارة » ، وهرب يعقوب صنوع من مصر ، وتحولت جريدة الوقائع المصرية الرسمية الى جريدة رأى وأصبحت جريدة يومية حكومية رأس تحريرها الشيخ محمد عبده ، ولجا يعقوب صنوع بعد هربه الى اصدار صحيفة فى الخارج وتهريبها الى مصر وتصدت الحكومة لمنع دخولها هى وباقى الصحف المصرية

---

(١) Cromer : Modern Egypt — V.I., London (1908) p. 151.

(٢) ابراهيم عبده — أبو نظارة امام الصحافة الفكاهية — ص ٨٠ .
وسامى عزيز — مرجع سابق — ص ٢٥ ، ٢٧ .

التى كانت تحرر وتطبع خارج مصر مثل جريدتى « النحــــلة » و « الشرق » ٠

ولم تلبث الحركة العرابية أن ظهرت وقويت ، بينما باقى الصحف تجاهد ضد قوى الخديو ورئيس وزرائه رياض ، ولجأت الصحف الى التقريب بين الشعب وزعماء الجيش الثائرين ، وكان فى ذلك تحقيق لأهداف الحركة العرابية التى بدأت فى الاستعانة بالصحف والصحفيين لدعوة النــــاس الى نصرة الحركة ، حتى أن الصحفى عبد الله النــــديم كان يجوب البلاد الى تأييــــد الحركة وزعمائها (١) ٠

وتولت الصحف تعبئة الرأى العام وقامت بتصوير مصر فى صورة فريسة واقعة بين كل من فرنسا وبريطانيا (٢) ، وبلغ من أهمية الصحف المصرية فى ذلك الوقت وتأثيرها البالغ على الرأى العام أن الخديو توفيق لم يجد أمامه من وسيلة لمواجهتها ســـوى اصدار صحف تدافع عنه وتواجه الحركة العرابية ، وأوحى باصدار صحيفة « البرهان » التى تولى تحريرها الشيخ حمزة فتح الله سنة ١٨٨١ والذى أصدر بعد ذلك صحيفة « الاعتدال » ٠

كما لجأت الحكومة فى ذات الوقت الى اصدار قانون المطبوعات الشهير غير أن كرومر عمد الى تجميد مواد هذا القانون وأشاح عن تطبيقه ٠ ومهدت الصحف الرجعية لهذا التشريع الذى كان بمثابة طعنة موجهة الى الصحافة المصرية حيث أدى الى زيادة أعباء الصحف المالية مما اضطر الكثير منها الى الانزواء ٠

---

(١) قسطاكى الياس عطاره الحلبى ــ تاريخ تكوين الصـــــحف المصرية ــ (الاسكندرية ١٩٢٨) ــ ص ١١٩ ٠

(٢) Cromer : Op. Cit., p. 211

وعندما تولت حكومة الثورة مقاليد الحكم في فبراير ١٨٨٢ ورأس الوزارة محمود سامي البارودي وتولى أحمد عرابي وزارة الحربية لم تعبأ هذه الوزارة الثورية بالغاء قانون المطبوعات ، فقد وجدت نفسها مسلحة بسلاح لم تعمد هي الى ابتداعه بل وجدته طوع أمرها ورأت أن تستخدمه لصالحها ، وبالفعل استطاعت حكومة الثورة أن تنذر الصحف التي اختلفت معها ، وحملت صحف السوريين واللبنانيين واختفت صحيفة « الأهرام » وضعفت الصحف الموالية للخديو بينما استزاد العرابيون من صحف الثورة، وأصدر النديم صحيفة « الطائف » ، كما صدرت صحف ثورية أخرى مثل « المفيد » و « الفسطاط » ، واعتمد الخديو على المنشورات التي كان يصدرها ويعلن فيها عصيان عرابي وكان ذلك ادراكا من الخديو لأهمية وخطورة وسائل النشر في التأثير على الرأي العام ·

وبهزيمة الثورة العرابية في التل الكبير واحتلال الانجليز لمصر ، بدأت حقبة جديدة من تاريخ الصحافة المصرية اختلفت حولها آراء كل الذين كتبوا في تاريخ الصحافة ، ويرى البعض أن الاستعمار قام بتصفية الصحافة الوطنية وأن كرومر جعل من الصحافة المصرية أداة ارهاب في يده ، بينما هناك من يرى أن كرومر أطلق للصحافة حريتها ولم يلجأ الى تنفيذ مواد قانون المطبوعات ، واعتمد على مواجهة الفكرة بالفكرة ومقارعة الحجة بالحجة ، وكانت وسيلته في ذلك هي الصحف المؤيدة للاستعمار البريطاني والتي دعمها دون أن يمس جو الحرية الذي ساد سماء الصحافة المصرية ·

وقبل أن نبدأ في تناول قضية الصحافة في عهد كرومر وموقف الصحف اليومية المصرية واتجاهاتها السياسية يجب أن نشير الى أن الصحافة المصرية قبل الاحتلال البريطاني لمصر امتازت بكثرتها وتعددها وبأسلوبها المتميز بالعنف وبدراستها للمسائل

السياسية ، كما بدأت تعتمد على أسلوبها الخاص ، وظهرت اللغة الصحفية التى امتازت عن الأسلوب الأدبى لذلك العصر ـ بالسهولة والوضوح مما يتناسب مع مخاطبتها للجماهير ومنهم الخاصة والعامة، كما خلت الصحف من السجع والزخرف مع البعد عن العامية والتمسك باحياء اللغة العربية الفصحى .

وبالنسبة للفن الصحفى وتقديم الخدمة الصحفية نرى فى صحف هذه الفترة الأحاديث الصحفية التى كان « الأهرام » أول من أدخلها فى الصحافة المصرية ، كما استعانت معظم الصحف بوكالات الأنباء الأجنبية التى كانت برقياتها تنتشر فى الصحف المصرية بالاضافة الى البرقيات الخاصة التى يبرق بها المراسلون والمندوبون الخاصون ، وأصبح للصحف المصرية وكلاء فى الخارج خاصة في سوريا ولبنان ، كما لم تعد الصحف تعتمد فى توزيعها على نظام الاشتراكات بل كانت تطرح فى السوق ليقبل عليها القارىء العادى غير المشترك ، مما أدى الى زيادة عدد النسخ المطبوعة من كل عدد ، كما بدأت بعض الصحف تأخذ بالتقدم الكبير الذى حققته فنون الطباعة .

اتجاهات الصحف اليومية نحو القضايا الوطنية

تصدى الاحتلال البريطاني منذ يومه الاول فى مصر للصحف الوطنية التى كانت تتعصب للعرابيين وتتميز بالأسلوب العنيف ، وفى ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢ تم الغاء جريدتى « الزمان » و « السفير » ، كما هرب عبد الله النديم الذى كان من أشهر الصحفيين المصريين فى هذه الفترة ، وتعطلت جريدتا « المفيد » و « النجاح » بعد أن تم القبض على صاحبها حسن الشمسى (١) .

وكما قبض على حسن الشمسى فر عبد الله النديم ، ونفى محمد عبده الى باريس الذى اشترطت سلطات الاحتلال لعودته الا يعمل بالصحافة ، وعين سعد زغلول قاضيا حتى لا يتمكن من اصدار صحيفته « العدالة » التى كان يهدف بها الى التصدى لصحيفة « المقطم » المؤيدة للاحتلال البريطانى (٢) .

وبينما كانت سلطات الاحتلال تتخلص من كتاب الثورة العرابية ، كانت فى نفس الوقت تشجع الصحفيين اللبنانيين على اعادة صحفهم وقررت لهم مبالغ ضخمة كتعويضات عما أصابهم خلال الثورة العرابية وبسببها ، وبلغت قيمة التعويض الذى قرره مجلس التعويضات لأصحاب صحيفة « الأهرام » مائة وثمانين ألف

---

(١) سليم خليل نقاش — مصر للمصريين — الجزء السادس — (الاسكندرية ١٨٨٤) — ص ٩٦ .

(٢) سامى عزيز — مرجع سابق — ص ٧٠ .

فرنك ، كما تلقى سليم نقاش تعويضا قدره أربعون ألف فرنك عن مطبعته التى احترقت فأعاد اصدار صحيفته « المحروسة » (١) •

وكان هدف سلطات الاحتلال من كل هذه الاجراءات يتركز فى تجنب نشر ما يثير التعاطف مع العرابيين أو حتى يذكر بهم باستثناء ما يضعهم فى صورة المتآمرين والمخربين ، وهذا ماصورته « الزمان » بعد أن أعيد اصدارها بواسطة الكسان صرافيان ـ الأرمنى لتكون داعية للاستعمار البريطانى •

وأصبح للاستعمار فى مصر صحف تؤيده وتدعو له وتدافع عن بقائه ، ولكن كانت هناك صحف أخرى تعارضه وتنادى بالجلاء ، وتهاجم كل من يدافع عن الاستعمار البريطانى لمصر ، ولم تكن هذه هى كل الاتجاهات السياسية للصحف المصرية ، بل تعددت التيارات والاتجاهات السياسية وتشابكت لتدور المعارك الصحفية وتحتدم المساجلات الفكرية حول كافة القضايا الوطنية •

ولكن هل كانت هذه المعارك الصحفية تدور فى جو من الحرية يكفل لها تناول القضايا السياسية الكبرى أم أن الصحافة المصرية افتقدت حريتها الحقيقية خلال هذه المرحلة وعانت من ارهاب كرومر الخفى ؟ •

ان هناك شبه اجماع على أن فترة كرومر لمصر امتازت بقدر واسع من الحرية وبالذات حرية الصحافة التى عارض كرومر منذ البداية تقييدها ، ويشير كرومر الى موقفه من الصحافة المصرية فى أحد تقاريره السنوية قائلا :

« كانت هناك مسألة مطروحة منذ بداية الاحتلال الانجليزى عرفت باسم « مسألة الصحافة » ، وكان الكثيرون يرون أن منح

---

(١) فيليب دى طرازى ـ مرجع سابق ـ الجزء الثالث ـ ص ٥٧ •

الحرية الكاملة للصحف المصرية له مضـــاره ، وكان من بين هؤلاء بعض أصـــحاب الآراء الجديرة بالاعتبـــار من الأوربيين والوطنيين الموظفين وغير الموظفين • وبالنسبة للرأى العام الانجليزى فانه لم يؤيد على طول الخط تقييد الصحف المصرية رغم أن البعض أشار بذلك فى صحف لندن الكبرى » (١) •

وبالنظر الى عناصر المجتمع المصرى وحالته يقول كرومر :

« لا نستطيع أن ننكر بالنظرة الأولى أن هناك بعض الضرر من توفير الحرية التامة للصحف ، ولكننى كنت مقتنعـــا بضرورة ترك الحرية للصحفيين لسببين :

١ ـ وجود حامية انجليزية تضمن عدم الاخلال بالأمن اخلالا بالغا نتيجة الكتابات المهيجة •

٢ ـ ليس من الممكن تطبيق قانون خاص على الصحف الوطنية دون أن يطبق نفس القانون على الصحف الأجنبية » (٢) •

ويستطرد كرومر قائلا :

« •• أنا شخصيا كنت أعارض تقييد الصحف منذ البداية لأن الأسباب التى كانت تدعو الى تقييدها ليست فى قوة ورجاحة الأسباب التى تدفع الى اطلاق حريتها • وقد كان كبار المسئولين ورجال الحكومة يتحملون نقد الصحف لهم ، بل وتجريحها أحيانا لبعض تصريحاتهم وقراراتهم ••• وأيدت الأيام هذا الرأى ومرت سنوات عديدة والصحف المصرية تتمتع بكامل حريتها » •

ولقد ترك اللورد كرومر للصحف حرية انتقـــاد الانجليز

---

(١) Blue Books, Report of Consul General, Egypt No. 1-1904, p. 31.

(٢) Blue Books, Op. Cit., p. 31-32.

ومهاجمتهم رغم أنه كان الحاكم الفعلي والقوى فى مصر ، وهـــذا ما اتفقت عليه معظم كتابات من تعرضوا لهـــذه الفترة من تاريخ البلاد ، وكما يقرر عمر الدسوقى فى كتابه السابق الاشارة اليه :

« ان اطلاق الحرية للصحافة والكتاب ، قد حررها من ربقة الحكومة وسيطرتها ، فلم تعد ميدانا للملق والنفاق والكذب والدفاع بالباطل عن تصرفاتها الخاطئة وتكبير حسناتها التافهة ، بل صارت رقيبا قويا ، ولسان صدق للأمة ومطالبها القومية ، وحربا مريرة قاسية على الانجليز وفظائعهم بمصر ، والتشهير بهم فى العالمين ، ولا شك أن هذه كانت شجاعة فائقة من اللورد كرومر الذى كان الحاكم المطلق لمصر في ذلك الوقت أقوى من الجالس على العرش بـل أقوى سلطة فى البلاد » (١) ٠

ويذهب بعض الكتاب الى أن الصحافة فى مصر نالت على عهد الاحتلال حرية لم تعرف فى شمال أفريقيا أو غرب آسيا ، وأهمل العمل بقانون المطبوعات لعام ١٨٨١ الى حد كبير ٠

وأصبحت الاثارة والتهييج ضد بريطانيا موضوعا أساسيا فى الصحف الصادرة بالفرنسية والعربية والتى كانت تناقض بمقاهى المدن ويتناولها الخطباء فى القرى ، واذا كان محررو هذه الصحف صحفيين فقد كان معهم مفكرون من المحامين ومناضلين من الدعاة ، وكان قانون الصـحافة الذى صدر عام ١٨٨١ ـ يطبـق ـ كما ذكرنا ـ بتساهل بالغ الى حد أنه كانت هناك بالفعل حرية صحافة كاملة بصورة لم تعرف فى أى بلد من شمال أفريقيا أو غرب آسنيا ، وتعددت الصحف لتصل سنة ١٨٩٨ الى حوالى ٢٠٠ دورية كانت تصدر فى مصر وتقدم عملا صحفيا نقيا (٢) ٠

---

(١) عمر الدسوقى ـ مرجع سابق ـ الجزء الثانى ـ ص ٦٤/٦٨ ٠

(٢) Young, G. : Egypt, London 1927) p. 179-180.

وفى عهد كرومر ازداد توزيع الصحف وبقى مستمرا فى زيادة مطردة ، ولم تعد الصحف تطرح على المشتركين ليرسل القارئ اشتراكه معتبرا ذلك « أريحية » ولكن أقبل القراء على طلب وشراء الجرائد والمجلات واندفعوا الى ارسال الاشتراكات مقدما ، وتضاعف توزيع الصحف حتى أن قراءها الذين كانوا لا يتجاوزون ثلاثين ألفا أصبحوا يقدرون بأكثر من مائة ألف خلال عهد عباس حلمى الثانى وكانوا فى بعض الأحوال يصلون فى تقدير البعض الى ضعف هذا العدد خلال حملات استرداد السودان (١) ٠

وبالاضافة الى التغاضى عن العمل بقانون المطبوعات واطلاق حرية الصحافة ، فقد كان الأفراد العاديون من الشعب يتأثرون كثيرا بما تتضمنه الصحف ويقبلون عليه ، كما أن المتعلمين من أفراد الشعب كانوا قد تشبعوا بالمدنية الحديثة وبالعلوم الكونية التى يتلقونها فى مدارس الفرير واليسوعيين والأمريكان ، هذا بالاضافة الى اهتمامهم بمطالعة الجرائد والمجلات العربية والافرنجية (٢) ٠

وانطلاقا من كل ما تقدم حققت مصر نهضة صحفية بالغة بحيث أصبحت صحفها أشهر الصحف فى الشرق بل وتقف على قدم المساواة مع أشهر الصحف فى بعض دول الغرب وربما كان ذلك يرجع الى أخذها بالتقاليد الصحفية الفرنسية التى تبيح للصحف الطعن فى الموظف ، وفى جميع الأحوال بشرط أن تبرهن على صدق الوقائع المسندة اليه ، كما أن القانون الانجليزى كان يبيح الطعن فى الموظف العمومى أو السلطة مادام الطعن يستهدف المصلحة العامة ٠

---

(١) سامى عزيز ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٢ ٠

(٢) قسطاكى الياس عطارة الحلبى ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٤ ٠

وظلت الصحف المصرية طوال الفترة الأولى من الاحتلال (١٨٨٢ ـ ١٩٠٧) تتمتع بحرية بعيدة المدى وفرها لها كرومر الذى كان يردد دائما القول :

« اذا وضعت الصمام على المرجل انفجر ، أما اذا تركت البخار فان سلامة المرجل مضمونة » (١) .

ويأخذ بعض الباحثين ذلك دليلا على أن كرومر لم يكن مخلصا فى توفير الحرية المطلقة للصحف المصرية ولكنه كان يرى أن ذلك يوفر له عنصر أمان وليس نابعا من ايمان وتمسك بحرية الكلمة والتعبير .

كما يأخذون عليه عدم ترك الصحف والصحفيين يخوضون معركة التنافس الحر دون تدخل السلطة ، بل أنه عمد الى خلق جبهة من الصحف التى تؤيد السياسة البريطانية وتدعم الاحتلال الانجليزى فى مصر تطبيقا لسياسة انجليزية خبيثة تهدف الى مواجهة الصحف الوطنية بصحف أخرى استعمارية النهج والمنهج ، بدليل ايعازه الى أصحاب « المقتطف » بانشاء صحيفة يومية سياسية تنافس « الأهرام » وتعارضها وتدافع عن المصالح البريطانية .

وقد أجمعت الأبحاث التى تناولت تاريخ الصحافة المصرية فى هذه الفترة على أن كرومر كان يقدم المساعدات المادية والأدبية الى الصحف التى تؤيد السياسة البريطانية وتدعم الاحتلال الانجليزى لمصر وتاتى على رأسها صحيفة « المقطم » ، وقد اعترف بلنت « Blunt » بذلك صراحة فى مذكراته عندما قال ان وزارتى الحربية والداخلية دفعتا لصحيفة « المقطم » مبلغا عظيما من المال للدفاع عن تصرفات الانجليز (٢) .

---

(١) Morlow : Anglo Egyptian Relations, London (1954) p. 192.

(٢) Blunt, W.S. : My Diaries, Part I (1888-1900) London (1919) p. 112.

ونحن اذ نسلم بتلك الحقائق فاننا نضيف أيضا أن كرومر استخدم مصادر الأخبار كسلاح يواجه به الصحافة الوطنية في تلك الفترة ، حيث كان يشجع المسئولين والرسميين على تغذية « المقطم » بالأخبار الرسمية وبكثير من الأسرار الخفية لتقوى وتزدهر ويزداد انتشارها (١) ، وهذا بالفعل قيد من القيود التى تهدد حرية الصحافة وهو ما يعرف صحفيا « بأنه تقييد المصادر أو احتكار مصادر الأخبار » (٢) ٠

ولكننا مع ذلك ، نختلف مع الباحثين الذين ذهبوا الى اعتبار « حرية الصحافة فى عهد كرومر أسطورة ضخمة » (٣) ، لأن اعتماده على صحف تعبر عنه وتدافع عن سياسته وتدعم اتجاهاته هو حق من حقوق الانسان الحاكم وغير الحاكم وأن تقول رأيك وتتركنى أقول رأيى ، فهذه هى الحرية ، أما ما نأخذه بالفعل على كرومر فهو استباحته المال العام يغدقه على الصحف والصحفيين المؤيدين له والمدافعين عنه ٠

أما بالنسبة الى احتكار المصادر ، فان كرومر عندما عمد الى مد الصحف التى تؤيده ــ وبصفة خاصة « المقطم » ــ بالأخبار والمعلومات يختصها بها وحدها دون سائر الصحف ــ فانه لم يستطع أن يمنع الصحف الأخرى المعارضة من الوصول الى كثير من الأخبار والأسرار ــ خاصة تلك التي تتعلق بحملات السودان ــ كما لم يستطع أن يمنعها من نشر ما توصلت اليه من الأخبار ، والدليل على ذلك واقعة يولية ١٨٩٦ وهى ما عرفت باسم « قضية التلغرافات » عندما نشرت جريدة « المؤيد » نص برقية سرية مرسلة

---

(١) عبد اللطيف حمزة ــ أدب المقالة الصحفية فى مصر ــ الجزء الرابع ــ (القاهرة ١٩٥٤) ص ١٠٥ ٠

(٢) جمال العطيفي ــ حرية الصحافة ــ (القاهرة ١٩٧٠) ــ ص ١٧ ٠

(٣) سامى عزيز ــ مرجع سابق ــ ص ٧٩ ٠

من السردار الى ناظر الحربية عن أحوال الحملة في دنقلة وما أثير حولها بعد ذلك ٠

وهكذا لم يستطع كرومر أن يحقق أهدافه من وراء الأوامر التي كان قد أصدرها في مايو ١٨٩٦ الى نظارة الحربية والتي تقضي بعدم اعطاء « المؤيد » معلومات عن الحملة المصرية على دنقلة ، ومع ذلك لم يلجأ كرومر الى مواد قانون المطبوعات أو الى الاجراءات الاستثنائية ليجد فيها ما يريحه من معارضـــة « المؤيد » ومقالاته المناهضة للسياسة البريطانية ، بل لجأ الى السلطات القضائية تفصل بينـه وبين صاحب « المؤيد » وقد برأت المحكمة في النهاية الشيخ على يوسف وأنصفته (١) ٠

كما أن احتكار المصادر في عهد كرومر لم يحقق هدفه كسلاح موجه الى الصحف المعارضة التي وصـــلت الى الأسرار ونشرتها ، بينما لم يكن من الممكن للصحف المؤيدة للاستعمار أن تنشر تلك الأخبار حتى ولو توصلت اليها ٠ وهكذا نرى أن القرب من الحاكم والأخذ عنه كان في بعض الأحيان قيدا على حرية الصحيفة الموالية وليس دائما ميزة مطلقة ، وبالاضافة الى ذلك ، فان ما كان يقدم الى الصحف المؤيدة للانجليز من معلومات تختص بها كان يوفر في نفس الوقت للقارىء معلومات عديدة تساعده على فهم واستيعاب الصحف المعارضة كما أنه أيضا يفتح مجالات جديدة وواســـعة أمام تلك الصحف المعارضة لتنـــاقض وتحلل وتعارض ، وفي نفس الوقت تبحث عن التفاصيل تستكملها وتنشرها ٠

وليس هذا بالطبع دفاعا عن الاستعمار البريطـــاني أو عن اللورد كرومر ، ولكنه في أساسه خلاف مع من ينكر تماما وجود أية حرية للصحافة على عهد كرومر ٠

---

(١) عبد اللطيف حمزة ــ أدب المقالة الصحفية في مصر ــ الجزء الرابع ــ (القاهرة ١٩٥٤) ــ ص ١٠٦ ٠

وهناك نظرية تقرر أن كرومر اتخذ من الصحافة أداة ارهاب ونستدل على ذلك بما قاله كرومر من أن :

« حرية الصحافة فى بلاد كمصر تستلزم من رجال الحكومة أن يجمعوا بين صفتين متضادتين نوعا وهما :

أولا : أن يحترموا الجرائد اذا كانت ترمى الى غرض سام ونسعى الى تأييد آرائها بالدليل القاطع كما هو الغالب .

ثانيا : أن يكون لهم من الشجاعة الأدبية قدر يكفى لمقاومة الجرائد التى ترمى الى غاية غير شريفة وتحاول تأييد أقوالها بأدلة لا تستحق الالتفات أحيانا » (١) .

ولكننا نرى أن هذا القول المستشهد به يتضمن دفاعا عن كرومر أكثر مما يبرهن على أنه كان ارهابيا ، واذا أردنا أن نبرهن على أن كرومر لم يبطش بالصحف المصرية وأنه وفر لها الكثير من الحريات فاننا نسوق الدليل على ذلك من نفس البحث الذى تضمن هذه النظرية عندما يستشهد بما ذكره ولى الدين يكن فى كتابه حيث قال :

« ان قانون المطبوعات الذى وضع سنة ١٨٨١ ونصب معه البارون ماركونى مديرا لقلم المطبوعات (على عهد الاحتلال) ضيق الخناق على أرباب الصحف والأقلام وسلب الأمة المصرية حريتى الفكر والسياسة . فكانت الجريدة تنشر الخبر الذى لا يوافق سياسة الحكومة فيأتيها الانذار ، وقد يحكم عليها بالتعطيل شهرا أو أكثر وقد تلغى بغتة ، وكل ذلك على ما يبلغ ذنبها وجنايتها السياسية ، واستمر ذلك الى أواخر عام ١٨٩٢ » (٢) .

---

(١) سامى عزيز — مرجع سابق — ص ٨٠ .

(٢) Blue Books, Reports of Consul General, Egypt, No. 1, (1904) p. 92.

وسامى عزيز — مرجع سابق — ص ٨٠ .

وولى الدين يكن — مرجع سابق — ص ٢٣ .

ولم يسق البحث بعد ذلك حالة تعطيل واحـــدة لصحيفة مصرية طوال الفترة التى تلت ١٨٩٢ وحتى نهاية عهد كرومر ٠

وخلاصة رأينا أننا بينمـــا نختلف مع كل من أطلق تنكيل كرومر بالصحف المصرية المعارضة له ، فاننـا نتفق مع من أثبت وقوف كرومر بجوار الصحف المؤيدة له يدعمها ويدافع عنها لتدافع عنه ٠

ومما يؤخذ على موقف كرومر من الصحف خلال هذه الفترة أنه أحاط صحافته فى مصر ـ دون ســـواها ـ بالرعاية ألتامة وامدها بالمال وآثرها بالأخبار الحكومية ليزيد من شأنها أمام القراء ، بينما كانت الصحف الأخرى ـ كما كان كرومر نفسه يرى ـ تعانى نقص الأموال والحرمان من المصادر الرسمية للمعلومات بعـــد أن أصدر كرومر أوامره المشددة لكافة الدواوين بألا تمـــد « المؤيد » بأى قدر من المعلومات » فأوصدت الحكومه بابها فى وجه السيد على يوسف ، على حين فتحته يومئذ للدكتور فارس نمر ولغيره من أصحاب جريدة المقطم لينشروا فيها ما شاءوا من الأخبار » (١) ٠

وقد ظل أثر ذلك محدودا فقويت ـ رغم كل ذلك ـ الصحف المعارضة للاحتلال وزاد عددها وأصبحت تفوق الصـــحف المؤيدة للاستعمار (٢) ٠

وهناك من يأخذ على الصحافة المصرية فى هذه الفترة أنها كانت تحقق ـ من حيث لا تدرى ـ الأهداف الانجليزية من وراء اطــلاق الحريات باعتبار أن « سياسة كرومر كانت ماكرة فهو لا يقصد الى

---

(١) عبد اللطيف حمزة ـ أدب المقالة الصحفية فى مصر ـ الجزء الرابع ـ ص ١٠٥ ٠

(٢) Wood, H, : Egypt Under the British, London (1896) p, 117

الحرية بقدر ما قصد الى استنزاف القوى الوطنية فى عبارات رنانه وصيحات عاطفية » (١) .

غير أن أصحاب هذا الرأى لا يعتبرون تعدد الصحف وانتشارها دليلا على نهضة صحفية ، ويرون أنه فى عهد كرومر :

« صدر عدد كبير من الصحف واتسع نطاق الدخلاء وصدرت صحف تهدف الى الطعن فى الأفراد والجماعات أو تهديد ذوى الثراء لابتزاز أموالهم ، والذين قاموا باصدار هذه الصحف جماعة من الأفاقين الذين لا هدف لهم ولا رسالة وقد اتخذوا من الصحافة لونا من التجارة واستكتبوا سواهم وحصلوا على كثير من الاتاوات واستغلوا الحوادث الشخصية والفضائح وقد كان لاتساع حرية الصحافة أن أصبح لكل هيئة فى مصر صحفية » (٢) .

ولابد من أن نأخذ هذا الرأى بالكثير من الحذر ، لان وجود صحيفة لكل هيئة هو محسوب للحرية وليس عليها ، كما أن هذا الرأى نفسه يطابق رأى أحد دعاة الاستعمار فى مصر والمؤيدين له وهو ولى الدين يكن (٣) وقد أخذ عليه أنه كان يقصد الصحف الوطنية دون الصحف المؤيدة للاستعمار عندما قال : « لا أجد بدا من الاعتراف بأن حرية الجرائد اليوم بلغت أقصى غاياتها ولكنها أساءت الى الأدب والأديب ، فقد منحت الجرأة لقوم من الأميين والبعيدين عن معالى السياسة فجرت الأقلام بما يضر وعجزت عما يفيد » (٤) .

---

(١) أنور الجندى - مرجع سابق - ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) أنور الجندى - مرجع سابق - ص ٥٣ .

(٣) سامى عزيز - مرجع سابق - ص ٨٠ .

(٤) ولى الدين يكن - مرجع سابق - ص ١٤ ، ١٥ .

وهناك دافع آخر يدفعنا الى مزيد من الحذر عند تناول رأى ولى الدين يكن الذى يصف صحافة هذه الفترة بالاسفاف ، لأنه كان من المدافعين عن كرومر وسياسته ومن الذين ساقوا ذلك فى مجال الاشادة به وبأفضاله على حرية النشر والمطبوعات وعدم تأثرها بالاحتلال ٠

وكتبت مجلة الهلال تصف الصحف المصرية فى عهد اللورد كرومر ، وقالت :

« تلك هى حال المطبوعات حتى بعد الاحتلال ببضعة أعوام ولا يزال نص قانونها باقيا لم تصدر الحكومة ما ينقضه ولكنها أهملت العمل به تدريجيا وأطلقت سراح المطبوعات فأصبحت الطباعة حرة مثل سائر التجارات المشروعة ، وأصبح الناس يفتحون المطابع وينشئون الجرائد بلا اذن . وينشرون آراءهم فى الكتب أو الصحف. بلا مانع ولا أزيدك علما بما بلغت اليه الصحافة المصرية من المبالغة فى الحرية الى حد التطرف أو التطاول حتى على الذى منحها هذه الحرية باختياره ولولاه لكانت مقيدة بسلاسل من حديد ٠ كانت الصحف المصرية آلات فى أيدى أرباب النفوذ وأصحاب السلطة ، فأصبحت رقيبا على أعمالهم تطالبهم بحقوق الشعب ومصلحة الامة ولولا مغالاة بعضها فى ذلك، الى حد الفوضى لأتت بأفضل الحسنات على أنها خدمت الحكومة والأمة خدمات ذات بال » (١) ٠

ولم يردد الكتاب الانجليز أنفسهم رأى المتعاطفين مع اللورد كرومر من المصريين بل وصفوا صحف تلك الفترة بأنها كانت : « تتجه اتجاها قوميا وتقدم فنا صحفيا » (٢) ٠

---

(١) مجلة الهلال ـ تاريخ النهضة الصحفية ـ عدد أول مايو سنة ١٩١٠ ـ ص ٤٨٧ ٠

(٢) **Young, G. : Op. Cit., p. 180.**

ونخلص من ذلك الى أن الصحافة المصرية عانت الكثير من العنت والظلم قبل عام ١٨٩٣ ولكنها تمتعت بعد ذلك بقدر واسع وكبير من الحرية ، وتعددت الصحف وازداد انتشارها وتضاعف اقبال الجماهير • وكان لاهتمام الصحف بما تنشره فى كتاباتها تأثير قوى على القراء ، مما يجعل من الممكن أن نصف هذه الفترة بأنها شهدت نهضة صحفية استمرت طوال عهد كرومر •

وبعد نهاية حكم كرومر تغير هذا الحال تماما وانقلب هذا الموقف الى نقيضه ، حيث اتجه الدون جورست « Aldon Gourst » الى تقييد الصحافة من جديد وأعاد تطبيق قانون المطبوعات (١) ، الذى أهمل العمل به فى عهد المراقبة الثنائية وفى عهد اللورد كرومر ، وقد أعاد تطبيقه السير الدون جورست بقرار وزارى صدر بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ (٢) •

على أننا ندين بالكثير الى كرومر لما تمتعت به الصحافة المصرية من حرية خلال وجوده فى مصر • وقد وفرت هذه الحرية وسائل نشر الآراء والاتجاهات المختلفة ، وفتحت أيضا الباب أمام الصراع الدولى والتنافس الأوربى لتصبح الصحافة المصرية ميدانا من ميادينه • لقد عكست الصحف المصرية صورة للصراع الدولى والتنافس الأوربى ، وبالذات حول أفريقيا ومنابع النيل بوجه خاص ، فوجدنا صحفا تدافع عن وجهة النظر الفرنسية ، وأخرى تعبر عن اتجاهات الباب العالى ، بالاضافة الى الصحف التى كانت لسان الاستعمار البريطانى فى مصر •

وأدى ذلك بالطبع الى انفعال الرأى العام المصرى بقضايا

---

(١) أنور الجندى ــ مرجع سابق ــ ص ٥١ •

(٢) محمد بدران ــ تاريخ المسألة المصرية (مترجم) ــ (القاهرة ، ١٩٢٣) ص ٣٢٣ •

الصراع الدولى خلال الفترة التى سبقت ظهور فكرة القومية المصرية والتى تعرض الرأى العام المصرى أثناءها لتيـارات متباينة آثارها هذا الصراع الدولى ووجهها •

لقد كانت مصر حتى نهـــاية القرن التاسع عشر عثمانية النزعة (١) ، وترك ذلك أثره على الرأى العام وعلى الأدب والصحافة حيث بقيت هذه النزعة العثمانية تسيطر على العالم الاسلامى كله ومن بينه مصر الى أن ظهرت بعد ذلك فكرة القومية المصرية والتى كان من أبرز القائلين بها والداعين لها أحمد لطفى السـيد محرر « الجريدة » وقد بدأت القومية المصرية في الظهور خلال الحقبة الأولى من هذا القرن •

الا آن الرأى العام فى مصر قبل نهاية القرن التاسـع عشر ـ • قبل أن ينادي أحمد لطفى السيد بفكرة القومية المصرية ـ قد تعرض لتيارات عديدة تعكس فى حقيقتها صـورة الصراع الدولى الذى أحاط بالمنطقة كما عبرت هذه التيارات عن المطامع الأوربية التى كانت تتجه الى هذا الجزء من العـالم وتتصارع على الأرض الافريقية •

وبينما كانت السـيادة على مصر مازالت للدولة العثمانية ، كان الاستعمار البريطاني قد استتبت أقدامه ، ولم يعد ينظر الى بقائه في مصر باعتباره مسألة مؤقتة ، رغم معارضة الدول ، ورغم استمرار المفاوضات بين بريطانيا والباب العالى حـول الجلاء عن مصر •

وبدأت اهمية فرنسا ودورها على المسرح منذ ١٨٩٣ عندما فكرت الدوائر الاستعمارية الفرنسية فى خطة للتوغل صوب أعالى

---

(١) كان هناك ايمان بالتبعية الكاملة للدولة العثمانيه •

النيل عن طريق نهر (الاوبانجى) أحد فروع الكنغو ، واستمرت فرنسا فى تطوير خطتها بافريقيا الوسطى وافريقيا الغربية بطريقة منهجية وان لعبت، فيها الكرامة ــ أى التعصب للوطن الفرنسى ــ دورا أكثر أهمية مما لعبت المصالح الاقتصادية الفرنسية (١) ٠

الا أنه لا يمكن اهمال المصالح الاستعمارية الفرنسية عند التعرض للصراع الدولى ودوافع التحركات الفرنسية ، فقد كان الحزب الاستعمارى الفرنسى فى فرنسا قويا ونشيطا ومدعما بالسياسيين والمثقفين وبعض ضباط جيش المستعمرات وكان يجمعهم تنظيم عرف باسم « لجنة افريقية الفرنسية » ، وفى عام ١٨٩٥ ــ أنشىء اتحاد استعمارى جمع كل هؤلاء مع عدد آخر من رجال الأعمال وبعض «ممارسى الحياة الاقتصادية فى المستعمرات» ، كما كان هذا الاتحاد الاستعمارى يلقى مساندة قوية من بعض عناصر البعثات الدينية ومن الأوساط العسكرية والبحرية حيث كانت القوى البحرية الفرنسية تحتل ــ وحتى عام ١٩٠٠ ــ المكانة الثانية فى العالم ولم تضعف الا بعد عام ١٩٠٢ عندما اتجه وزير بحريتها الى انتهاج سياسة تقشفية (٢) ٠

واذا كان ما يهمنا هنا بصورة أساسية هو موقف فرنسا من مسألة وادى النيل وعلاقة ذلك بالرأى العام فى مصر ــ فانه يمكن التركيز على ما اتبعته فرنسا من سياسة عدائية ازاء الاحتلال البريطانى ومعارضتها بكل ما كان من شأنه اطالة الوجود البريطانى فى مصر ــ ودعاها ذلك الى تأييد الحركة الاستقلالية ، وكانت الصحف وسيلة هامة لتحقيق ذلك ٠

---

(١) راجع جلال يحيى ــ تاريخ العلاقات الدولية (القاهرة ١٩٦٨) ــ ص ٦٨٦ ٠

(٢) جلال يحيى ــ مرجع سابق ــ ص ٦٦٣ ، ٦٦٥ ٠

وقد عبر كرومر عن هذا بقوله :

« ان الصحف كانت أداة صالحة لاثارة الشعور الوطنى وبث روح الحرية فى النفوس وترويج الدعاية واثارة عطف الدول التى حققت حريتها واستقلالها » (١) .

وفى الوقت الذى كانت فيه السياسة البريطانية تلقى معارضة فرنسية بلغت حد العداء ، كانت ألمانيا تتبع سياسة المهادنة بالنسبة لبريطانيا حيث وافقت بالفعل على ارسال حملة دنقلة ، وان كانت ألمانيا لم تنتهج سياسة ثابتة تجاه المسألة المصرية (٢) .

وكانت السياسة الروسية تميل الى تأييد فرنسا فى مطالبتها بريطانيا بالجلاء عن مصر ، لكن ظلت هذه السياسة الروسية لفترة طويلة غير ثابتة ، وربما كان ذلك مرجعه الى دخول المجتمع الروسى في تحولات اجتماعية وأزمات سياسية داخلية مما « أثقل كاهل السياسة الخارجية للامبراطورية من سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٨٩٨ » (٣) ، غير أنه فى عام ١٨٩٩ اتخذت روسيا موقفا واضحا واحتجت الصحف الروسية على توقيع الوفاق المصرى البريطانى وطالبت الدول بضرورة الاعتراض بشدة على الاتفاقيه .

وهكذا شهد العقد الأخير من القرن التاسع عشر أخطارا نجمت عن نمو الاتجاهات القومية وازدياد المنافسات الدولية ، كما شهد انتشارا سريعا لوسائل التعبير وفى مقدمتها الصحافة التى استفادت من تقدم المواصلات مما جعل للرأى العام أهميته وثقله .

---

(١) Cromer : Op. Cit., p. 840.

(٢) أحمد شفيق باشا ـ مذكراتى فى نصف قرن ـ الجزء الثانى ـ (القاهرة ١٩٣٦) ص ٢٨٥ .

(٣) جلال يحيى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٧١ .

وقد قويت تيارات الرأى العام فى العالم كله ، حتى باتت من المظاهر الرئيسية لهذه الفترة ، وكانت هناك اتجاهات متشابهة لهذه التيارات مثل الرغبة فى تأكيد الشعور القومي حيال الشعوب الأخرى مع الحيطة والحذر من كل نفوذ أجنبى والرغبة فى تنمية واظهار قوة الدولة والحفاظ على كرامتها ، ولم تبق مصر منفصلة أو بعيدة عن تيارات الرأى العام العالمى أو غير متأثرة به ، بل انفعلت بكل ذلك نتيجة تطور وسائل المواصلات ونضج وسائل التعبير وظهور ما يسمى بالصحافة العالمية التى استخدمت وسائل المواصلات المتطورة فى نقل الصحف الى كافة أنحاء العالم والتى استعانت أيضا بوسائل البرق فى نقل الأخبار والأنباء الى كل بقعة فى الكرة الأرضية ، بالاضافة الى تعدد شركات الأنباء وانتشارها واستخدامها للمندوبين والمراسلين الذين انتشروا فى كل البلاد .

وكان فى مصر رأى عام قوى ومؤثر الى الحد الذى جعله عنصرا فعالا فى حركة التاريخ ، وقد أشار المؤرخون الى اتجاهات وانفعالات الرأى العام المصرى خلال هذه الفترة وبصورة خاصة ازاء مسألة السودان ، والحقيقة كما يقول الدكتور شكرى :

« ان الرأى العام المصرى كان متضررا ضررا بليغا من السياسة التى سارت عليها بريطانيا فى مسألة السودان عموما عندما بدأت بأن ضغطت على مصر لتقرير اخلائه ثم استمرت تعارض مصر فى استرجاعه ثم تقرر من غير استشارة الحكومة المصرية ولخدمة ايطاليا ارسال الحملة لاسترجاع جزء منه » (١) .

وكان للصحف المصرية أثرها الكبير على الرأى العام ، وقد عبر اللورد كرومر عن ذلك وعما للصحافة من قدرة على التأثير فى الأمة عندما قال :

(١) محمد فؤاد شكرى ــ مرجع سابق ــ ص ٥٠٢ .

« ان السواد الأعظم من المصريين هم من أكثر الناس تصديقا لما ينشر (١) ٠

وايمانا بأهمية الصحف وما لها من تأثير بالغ وخطير ازدادت محاولات كسب واستمالة الصحف المصرية وضمان تاييدها ، وظهر ــ وربما لأول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية ــ ما يســـمى فى الصحافة الحديثة باسم «الحملات الصحفية» ٠ وهذا هو نفس التعبير الذى استخدمته بعض أمهات الكتب التى أرخت لهذه الفترة والتى سجلت أثر الحملة الصحفية حول المسألة السودانية وخاصة الخلاف حول فاشودة ٠ « ولا جدال أن هذه الحملة الصحفية كان لها أثرها فى حمل المسئولين المصريين على الاعتقاد بأن هذه الأزمة بين فرنسا وانجلترا ، بسبب فاشودة سوف تنتهى بايجـــاد حل للمسألة المصرية على أســـــاس جلاء الانجليز عن مصر وكان من بين الذين اعتنقوا هذا الرأى خديو مصر عباس حلمى الثانى » (٢) ٠ وقد كان ايمان الخديو بالصحافة وأهميتها وأثرها ايمانا كبيرا مما دفعه الى الاهتمام بالادلاء للصحف الأجنبية بالأحاديث الصحفية ومن أهمها حديثه الى مراسل النيويورك هيرالد فى أواخر مارس ١٨٩٦ وكان الخديو يتتبع باهتمام ما تنشره صحف العالم حول ما يتعلق بمصر وبالمسألة السودانية (٣) ، كما اهتم الخديو اهتماما كبيرا بتشجيع الصحف والصحفيين المصريين الموالين له وتقديم العون لهم مقدرا ما للصحف المصرية من تأثيرات بالغة على الرأى العام وما لهذا الرأى العــام وتياراته من قوة وقدرة على الضغط والتأثير على أصــحاب القرار ، وكان هذا هو ما دفعه الى تشجيع الصحفيين على مهاجمة

---

(١) Blue Books : Op. Cit., p. 66.

(٢) محمد فؤاد شكرى ــ مرجع سابق ــ ص ٥٣٤ ، ٥٣٥ ٠

(٣) أحمد شفيق باشا ــ مرجع سابق ــ ص ٢٠٨ ٠

الانجليز (١) . ومما يدل على أن الخديو كان يعتمد كثيرا على الرأى العام المصرى قوله :

« ان مسألة السودان وهى واحدة من أكبر المسائل التى كانت موضع الجدل فى عهد حكمى وأثلها بالمرارة ، كانت فى كل الأوقات وستظل مثار الشكوى والنداءات الملحة من جانب الشعب المصرى الذى يدرك ضرورة تأمين حدود مصر والسيطرة على منابع النيل نهر الحياة بالنسبة لمصر » (٢) .

وكان للباب العالى موقف مماثل بالنسبة للصحف والصحفيين فى مصر حتى أنه منح بعض الرتب والأوسمة الى عدد من محررى الصحف المصرية المعادية لبريطانيا (٣) . وازداد اهتمام العناصر المختلفة بالصحف اعترافا بتأثيرها على الرأى العام فى مصر والذى ارتبط بنمو الصحافة اليومية .. وكما يذكر د. جلال يحيى فانه :

« فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ازداد نمـــو الصحف ذات الأثمان البسيطة والتوزيع الكبير وتعودت على ممارسة عملية اعطـــاء الأخبار المثيرة وجـــاء هذا المثـــل من الولايات المتحدة » (٤) .

واذا كان من الصعب أن نضع تقسيمات جامدة تخضع لهـا الصحف المصرية وتيارات الرأى العام فى مصر خلال القرن التاسع عشر ، فانه من الممكن أن نحدد الاتجاهات العامة الدولية التى أثرت فى الرأى العام المصرى خلال هـــذه الفترة وهى التى اتفق معظم

---

(١) Cromer : Abbas II, London (1915) p. 44-45.

(٢) مذكرات الخديو عباس حلمى الثانى - جريدة المصرى - ١١ يونيـــة سنة ١٩٥١ .

(٣) Cromer : Abbas 11, p. 5

(٤) جلال يحيى - مرجع سابق - ص ٦٣٩ .

الباحثين على تحديدها بثلاثة اتجاهات وان كان هناك بعض الخلاف في تحديد سمات ولون كل من هذه الاتجاهات الثلاثة .

كان الاتجاه الأول مع الاحتلال البريطاني يؤيده ويدافع عن وجوده ، والثاني هو التيار المدافع عن الدولة العثمانية وتبعية مصر للباب العالى ، أما الثالث فكان التيار المعارض للاستعمار البريطاني المدافع عن فرنسا كصديقة للشعوب المتطلعة الى الحرية (١) . ومن الممكن أن نقسم الصحافة اليومية المصرية في هذه الحقبة طبقا لهذه الاتجاهات الثلاثة ، الا أن هناك من يقسمها الى قسمين :

١ ـ صحف احتلالية .

٢ ـ صحف معارضة للاحتلال ، ومنها من يعارض الاحتلال لحساب الحكومة المصرية أو الباب العالى ، ومنها من يعارض الاحتلال تأييدا لفرنسا .

غير أن الصحف تعددت وتضاربت مشاربها بصورة يصعب حصرها .

كانت هنـــاك في مصر عام ١٨٩٣ صحيفتا « المحروســـة والأهرام » تؤيدان تركيا وتعتمدان على تأييد فرنســا وروسيا ، وكانت صحيفتا « المقطم ومصر » تؤيدان انجلترا بينمـــا بعض الصحف الوطنية المحدودة تؤيد الخديو ، وفي نفس الوقت كانت هناك عشرات من الصحف الأخرى المختلفة التيـــارات والمتباينة الاتجاهات تتنافس خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر . وتأثرت صحافة هذه الفترة بعاملين رئيسيين :

أولهما : تركيا التي بقيت تحاول اثارة النفوس ضد الاحتلال

---

(١) Sladen, D. : Egypt and the English, London (1908) p. 125.

رغم ضعفها . وكان الكثيرون من المصريين يدينون لها بالولاء الديني للخلافة العثمانية أكثر مما يدينون بالولاء السياسي .

ثانيهما : الاحتلال الذي عكف على مقاومة النفوذ التركي واقتلاع آثاره من النفوس ، وقد كان للاحتلال مؤيدوه المخلصون من بين السوريين والمسيحيين الذين كانوا ناقمين على تركيا واستبدادها وغلظتها وتفريقها بين عناصر الأمة .

وهكذا كان هناك فريق يشيد بالاحتلال الانجليزي ويتغنى بمحامده ويعارض التيار العثماني ويكشف مساوىء العهد التركي، وفريق آخر هو فريق تركيا الذي كان يدعو في الغالب الى الخديو ويندد بالاستعمار وكان « المقطم » يتزعم الفريق الأول بينما يتزعم « المؤيد » ومن بعده « اللواء » الفريق الثاني .

وكان « المقطم » أسبق في الظهور من منافسة ومعارضة « المؤيد » بعدة شهور ، غير أن « الأهرام » كانت أسبقهما حيث نزح الى مصر صاحباها « سليم وبشارة تقلا » ليصدرا جريدتهما في نهاية عام ١٨٧٥ بالاسكندرية ثم انتقلا بها الى القاهرة ، وظلت النزعة الفرنسية تطغى على جريدة « الأهرام » منذ ظهورها (١) — وان اعتبر الباحثين « سياستها عثمانية مصرية تدافع عن مصالح فرنسا في مصر وأنها كانت أكثر الصحف المسيحية عناية بمصالح الوطنيين » (٢) .

ولا شك في أن « الأهرام » تحول منذ عام ١٨٨٤ ليصبح مؤيدا تماما للسياسة العثمانية الفرنسية ومؤازرا للحركة الوطنية .

---

(١) قسطاكي الياس عطاره — مرجع سابق — ص ٢٥٧ .

(٢) خليل صابات — الصحافة — الطبعة الثانية — (القاهرة ١٩٦٧) — ص ٩٤ .

وابراهيم عبده — تطور الصحافة المصرية — ص ١٦٤ .

وبعد ذلك أوحت السلطات الاحتلالية فى مصر الى صاروف وفارمى ونمر وشاهين مكاريوس ليصدروا جريدتهم الاستعمارية النزعة « المقطم » وقد صدر العدد الأول منها سنة ١٨٨٩ ٠

وكان « المقطم » هو أول جريدة تصدر فى مصر فى ثمانى صفحات كبيرة ، يساعده على ذلك المعونات التى كان الانجليز يقدمونها الى أصحابه والذين اعتبرهم الانجليز أكبر المدافعين عن مصالحهم ووصفوهم بأنهم كانوا رجال أعمال من الطراز الأول (١) ، ونجحت سياسة كرومر فى محاربة الصحافة المعارضة بالصحافة المؤيدة له ، وحقق « المقطم » بذيوعه وانتشاره الهدف المقصود من اصداره ، بينما لم تعد « الأهرام » باتزانها و « الوطن » بتفاهة تحريرها قادرتين على مواجهة « المقطم » ، ففكر الوطنيون فى انشاء صحيفة وطنية هى « المؤيد » التى صدر العدد الأول منها فى ديسمبر ١٨٨٩ لصاحبها الشيخ على يوسف الذى كان « من أئمة الصحفيين فى ذلك العصر » (٢) وكانت هناك بالفعل ضرورة ملحة لاصدار صحيفة وطنية ، خاصة أنه كان قد سبق ظهور « المقطم » جريدة أخرى قوية وهى « الاتحاد المصرى » التى أصدرها عام ١٨٨١ اللبنانى روفائيل مشاقة والتى مالبثت أن غيرت اتجاهها السياسى فانحازت تجاه الانجليز ٠

وعندما اشتد ساعد « المؤيد » وحمى وطيس الجدال بينه وبين « المقطم » وتكاثر ظهور الصحف التى أصبحت اما « مقطمية » أو « مؤيدية » أعادت الطائفة القبطية اصدار جريدة « مصر » التى

(١) Hartman, Martin : The Arabic Press of Egypt, London (1899) p. 11.

(٢) ابراهيم عبده ـ تطور الصحافة المصرية ـ ص ١٧٧ ، ١٧٨ ٠

كانت قد توقفت ، وتعتبر جريدة « مصر » هي أكبر الجرائد القبطية ويعتبرها مؤرخو الصحافة على الاجمال احتلالية (١) ٠

وبقى « المؤيد » يتزعم الصحف المعارضة للاحتلال ، وكان يستند الى شهرة أخذت تزداد بين ربوع العالم الاسلامي حيث كان له مراسلين في عواصم الشرق والغرب كما استمر يدعو الي مؤازرة الخديو وفق سياسة عثمانية خديوية وطنية - أى تساير التيـــار الوطنى - وكان أول صوت ارتفع مناديا بالجـــلاء ..وظلت المعارك والمســـاجلات تدور بين « المقطم » و « المؤيد » الذى بقى متزعما الحركة الوطنية الى أن ارتد بعد اتفاق الخديو عباس والدون جورست فانقلب « المؤيد » انجليزيا وأعلن أن لندن هي كعبة السياسيين وان كان ذلك قد وقع فى بداية القرن العشرين ٠

وفى عام ١٨٩٦ أصدر يوسف الخازن جريدته « الأخبـــار » التي استمرت فى الصدور حتى انتقالها الى أمين الرافعي ومحمـود حمادة سنة ١٩٢٠ ثم اشترى رخصة اصدارها مصطفى وعلى أمين عام ١٩٥٢ ٠

ومنذ صدور « المقطم » ثم « المؤيد » ، استمر تطاحن الوجهات الثلاث : الأهرام الذى يعكس الاتجاهات الفرنسية ، والمقطم الذى يدافع عن الاستعمار ، والمؤيد الذى يدين بوجهة نظر الخديو ، غير أن الأهرام لم تكن صحيفة ذات أهمية فى معارضة المقطم الذى كان أصحابه يجدون فى المؤيد الصحيفة المعارضة لهم ٠

وكانت الصحف المصرية تتفق أو تختلف حول كل شأن من الشئون طبقا للتيار الذى يدفعها وحسب المصالح التى تدافع عنها مستخدمة كل ما يستحدث من أحداث أو يقع من حروب فى تدعيم

---

(١) مجلة الهلال - مقال سابق - ص ٤٨٧ ، ٤٨٨

وجهة نظرها . وهذا ما حدث عند نشوب الحرب التركية اليونانية التى أرجعتها بعض الصحف الى تحرش الصليب بالهلال كما فعلت خلال الحرب الروسية التركية ، واستغلت انتصار الدولة العثمانية فى الدعوى الى الخلافة العثمانية ، وعارضت الصحف الأخرى هذا الأسلوب الصحفى فى معالجة الأمور والربط بين الأحداث . وعندما تحرجت الأمور بين فرنسا وانجلترا بسبب حادث « فاشودة » اتجهت الصحف الوطنية والمعادية للاستعمار والصحف الفرنسية النزعة الى تجسيد أهمية ذلك وأثره على سرعة جلاء الانجليز عن مصر وطالبت به ، وأعادت نشر تاريخ الاحتلال البريطانى لمصر . واشتركت مع الصحف المصرية فى ذلك الصحف الفرنسية المحلية المناوئة للاحتلال وأصبحوا جميعا يضربون على نغمة واحدة ، وكان من بين تلك الصحف جريدتا « لوكورييه دو أوريانت L'Courrier d'Orient » و ليكودو أوريانت L'Echo d'Orient

بينما بالغت الصحف الفرنسية فى الاشادة بدور فرنسا باعتبارها الصديق الذى يجد فيه الخديو والمصريون العون وقد وجدت الصحف المصرية ـ منذ البداية ـ فيما أثير حول السودان وحملات الاسترداد وأنباء الجيش المصرى فرصة للتعبير عن اتجاهاتها وتحقيق أهدافها المختلفة والمتباينة بل والمتعارضة ، مستغلة اهتمام الرأى العام ـ ممثلا فى قراء الصحف ـ بالمسألة السودانية وبكل ما يحيط بها وهى المسألة التى انشغل بها الرأى العام واهتم بها اهتماما بالغا .

وكانت أخبار الجيش المصرى وحالته تشغل القارىء المصرى منذ أن قامت السلطات البريطانية بتسريح أعداد كبيرة من الجند ، والى أن عادت بعد ذلك الى تنفيذ خطتها لبناء الجيش المصرى من جديد وتدريبه على أيدى الضباط الانجليز . وقد عبر محرر جريدة « الكورييه دى جيبت Le Couréier d'Egypte » عن ذلك فى مقالات

نشرها بجريدة ألمانية اسمها « الأخبار الجديدة ببرلين • وأبرز حالة الجيش المصرى الذى كان من قبل يضم حوالى ربع مليون جندى وحقق انتصارات فى تركيا واليونان وجزيرة العرب والسودان ، كما حارب فى المكسيك ومع تركيا فى حروبها ضد روسيا ، ثم أصبح لا يزيد عدد جنوده عن أربعة عشر ألفا فقط (١) • وظل الرأى العام فى مصر مهتما بحالة جيشه ، عدده وعدته ، وازداد الاهتمام بالجيش وبالمعارك التى يخوضها الجيش بعد أول اشتباك مع الدراويش •

وكما كان الرأى العام ناضجا ومؤثرا ، فقد كانت الصحافة المصرية قادرة على تقديم الصحيفة المطلوبة والمتوقعة منذ بدء الحملة وحتى توقيع اتفاقية الحكم الثنائى ، حيث عاصرت هذه الفترة رواجا ونشاطا صحفيا ، وامتازت الصحف بغزارة المادة وتمتعت بالانتشار الواسع • وصدرت خلال الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر وبالتحديد من سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٩٠٠ نحو مائة وخمسين صحيفة أى ما يماثل عدد الصحف التى صدرت من قبل طوال ثلاثة وستين عاما (٢) •

وما من شك فى أن الصحف المصرية قامت بتحقيق تغطية صحفية كاملة لأحداث السودان وحملات الاسترداد ، وقد وفت الجرائد المحلية بأنواعها هذا الفتح حقه وتمكنت الصحف المصرية جميعها من الوصول الى حقائق عديدة عن هذه الحملات سواء أكانت هذه الصحف موالية للاستعمار أم معارضة له ، فبينما كانت السلطات البريطانية تخص « المقطم » بكل أخبار الحملة كنوع من المعاونة والمساعدة المباشرة لهذه الجريدة الاحتلالية ، كانت الصحيفة

---

(١) هنس رزلر ــ مصر فى عهد الاحتلال الانجليزى ــ (صدر بالعربية) القاهرة ١٨٩٧ ــ ص ١١١ •

(٢) راجع ــ مجلة الهلال ــ مقال سابق ــ عدد أول مايو ١٩١٠ •

المنافسة لها وهي « المؤيد » تنشر من أخبار الحملة وأسرارها مايزيد من حيث أهميته وخطورته عما ينشره المقطم رغم أن نظارة الحربيه أمرت بعدم اعطاء أية معلومات تتعلق بالحملة المصرية على السودان لجريدة « المؤيد » لتستطيع الحكومة بذلك أن تنشر الأنبـــاء التى تريدها ـ وفق ما تشتهى ـ فى « المقطم » (١) ٠

ومما يوضح مدى اقبال قراء الصحف وانفعالهم باخبار الحملة ان الشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » قد شغل الرأى العام المصرى بقضية التلغرافات وأثارت هذه البرقيات عاصفة من النقد للسياسة العسكرية الجارية اذ ذاك ولم تثر العاصفة بين المصريين وحدهم بل بين زملائهم وشركائهم الانجليز « وأثبتت هذه القضية أن وسائل الأخبار فى الجريدة وتسقطها لها قد فاقت جميع الوسائل عنـــد الصحف المعاصرة جميعا ، ومن هنا جاء اعجاب الناس بها، واستطاع الشيخ أن يتصدر الصحفيين فى الفن الصحفى والتحرير السياسى كما يقول ابراهيم عبده (٢) ٠

كان اهتمام الرأى العام فى مصر بقضـــية التلغرافات هذه ـ التى سبق أن عرفنا بها ـ اهتماما بالغا ـ وتتبعت جماهير الشعب سير القضية الى أن صدر الحكم ببراءة على يوسف ، واذا كنا سنعرض لموضوع هذه التلغرافات بالتفصيل ، فانه يهمنا هنا أن نوضح مدى اهتمام الرأى العام بما تنشره الصحف ومدى تجاوبه مع هذا الذى ينشر ، بالاضافة الى ما كان لجريدة « المؤيد » من شعبية ونفـــوذ وما حققته من تقدم صحفى حيث أخذت تنمو وتزدهر حـــتى بلغ مجموع النسخ التى كانت تطبع من العدد الواحـــد أربعة آلاف

---

(١) محمد أمين عبده ـ قضية التلغرافات ـ مقال بمجلة الشباب ـ عدد ٢٤ فبراير ١٩٣٦ ـ ص ٤٤ ؛
وعبد اللطيف حمزة ـ أدب المقالة الصحفية فى مصر ـ الجزء الرابع ـ ص١٠٥٠
(٢) ابراهيم عبده ـ أعلام الصحافة فى مصر ـ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ٠

نسخة ـ وهذا هو مقدار توزيعها فى أغسطس ١٨٩٦ ، الا أنها وصلت بعد ذلك أثناء نظر قضية التلغرافات وأيام المرافعات فى هذه القضية (أغسطس ـ نوفمبر ١٨٩٦) الى اثنى عشر ألف نسخة يوميا وهو مالم تصل اليه جريدة أخرى فى أى بلد عربى حتى ذلك الوقت (١) .

وكما عكست الصحف المصرية اهتمام الرأى العام بكل مايدور من نشاط صحفى ، فقد عكس المسرح المصرى أيضا اهتمام الرأى العام بالحملات حيث أقبلت جماهير الشعب على مشاهدة مسرحية المهدى وفتح السودان التى قدمها (جوق) (٢) اسكندر فرح أفندى على احدى مسارح القاهرة فى أكتوبر ١٨٩٦ وتمثل حرب السودان .

وكان « المؤيد » يستخدم موضوع السودان لاثارة المشاعر باعتبار أن الرأى العام المصرى لم يكن راضيا عن سحب الجيش المصرى وترك السودان بين يدى المهدية .

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ، وعلى «المؤيد» لموضوع اتخاذ السودان كوسيلة لاثارة المشاعر المصرية ضد انجلترا والوجود البريطانى فى مصر ذلك المقال الذى نشر فى صدر الصفحة الأولى بعنوان (القوى مع الضعيف والضعيف مع القوى » والذى نسبته الجريدة الى أحد أفاضل الكتاب الأدباء من العثمانيين الأحرار » وقالت فيه :

« يوشك أن ينقضى القرن التاسع عشر وانكلترا لم تحل عن سياستها التى اشتهرت بها فيه وهى استعمال القوة والعنف

---

(١) عبد اللطيف حمزة ـ أدب المقالة الصحفية فى مصر ـ الجزء الرابع ـ ص ٨٤ .

(٢) « جوق » هنا بمعنى فرقة تمثيل مسرحى .

والغطرسة مع الضعفاء واصـــــطناع اللين والتودد والمجاملة مع الأقوياء ....

... وأول مطلب مستغرب ينفر منه الطبع ويرفضه العقل وهو أعظم ضربة على تجارة مصر وماليتها قيامهم بسلخ السودان عن الخطة المصرية » .

ويمضي المقال بعد ذلك مهاجما نوبار باشا ووزارته ويتهمه بأن الحكومة البريطانية انما أقالت شريف باشا لرفضه التصديق على فصل السودان عن مصر وذلك بدافع وطنيته بينما أتت السلطات البريطانية بنوبار باشا ليكون أول قرار يصدره بعد توليه الوزارة هو قرار فصل السودان واعتباره بلاد فوضى تفصلها الحدود عن البلاد المصرية .. ويتساءل كاتب المقال :

« لماذا لا يسلخ نوبار باشا السودان عن مصر اذا تربع على دست وزارة بلاد جاءها هو وقومه للاتجـــــار بمصالحها وجمـــع ما استطاعوا من دراهم فلاحيها المساكين ؟ »

وتظل صحيفة « المؤيد » تسير فى نفس الاتجاه ، وان تنوعت أساليبها فى المعالجة الصحفية ، فنجدها وقد تخيرت برقيات وكالة « هافاس » من باريس التي تبرز حيوية المسألة المصرية وأهميتهـــا بالنسبة للأوساط العالمية وبالذات موقف فرنسا المتشدد من هذه المسألة نراها وقد وضعت فى بداية عمودها الثابت الذى تنشره بعنوان « تلغرافات عمومية » هذه البرقية :

« باريس فى ١٥ منه ـ الجرائد مجمعة على التصريح بأن تسوية مسألة مصر أول شرط للتقرب بين فرنسا وانكلترا » (١) .

---

(١) « المؤيد » ـ ١٦ يناير ١٨٩٦ ـ الصفحة الثالثة .

ويستمر « المؤيد » فى هذا الاتجاه متخيرا من البرقيات مايؤكد دائما هذا المعنى ، ولا شك أن عملية اختيار الأنباء هى وسيلة من وسائل التعبير عن الرأى وان بدا الخبر المنشور خبرا مجردا فى ظاهره ، وقد كان « المؤيد » يشير الى ما تنشره الصحف الفرنسية حول المسألة المصرية وينقل عنها ، كما أنه لم يمــل من التكرار والعزف على نفس النغمة حتى فى العدد الواحد بل والمكان الواحد من نفس العدد ، وهذا يعد عيبا فنيا فى حكم الفن الصحفى الحديث الذى يحذر من تناول الموضوع الواحد فى عدد واحــد على أجزاء متفرقة ، ووجدت جريدة « المؤيد » فى البرقيات الخارجية وأخبار وكالات الأنباء ما أحسنت استخدامه فى اثارة الرأى العام حــول المسألة المصرية والاشارة الى موقف فرنسا منها ، وهذا ما نجده يتكرر فى العدد الواحد من أعداد « المؤيد » الذى نشر تحت باب « تلغرافات عمومية » هاتين البرقيتين فى مكانين منفصلين بنفس الصفحة :

« لوندره فى ١٧ منه ـ صرحت الجرائد الفرنسية بأنه مادامت المسألة المصرية غير منحلة فان العلاقات بين فرنسا وانكلترا لا يمكن أن تتغير تغيرا ماديا محسوسا » .

« هافاس ـ باريز ـ فى ١٦ منه ـ أن الاتفــاق المعقود مع انكلترا يمنح فرنسا صفقة ميكونغ الشمالية كلها وهو لا يوجب أدنى اتفاق عام مع انكلترا والمسألة المصرية على الخصوص باقية فى جانب العزلة التامة » (١) .

وقد كانت هناك فى هذه الفترة محاولات للتوفيق بين مصالح كل من انجلترا وفرنسا وقد انفرد « المؤيد » دون بقية الصــحف المصرية بابرازها حيث كان ذلك مسايرا لاتجاهاته التى تميل نحو

---

(١) « المؤيد » - عدد ١٨ يناير ١٨٩٦ ـ ص ٣ .

اشراك فرنسا كطرف فى القضية ، ومن بين ما لجأ اليه « المؤيد » فى سبيل ذلك ما تضمنته مقالاته الرئيسية ـ فى الصفحة الأولى ـ والتى تومىء الى قدرة فرنسا على ايجاد حل للمسألة المصرية ، بالاضافة الى البرقيات التى تشير الى مصالح فرنسا فى مصر ·

ويقول « المؤيد » مثلا فى مقال له تحت عنوان « المسألة المصرية » : « تجمع الدوائر السياسية العالمية فى القاهرة على أن المسألة المصرية قد دخلت الآن فى دور حلها النهائى بين فرنسا وانكلترا وان لم يكن لدى احداها علم بطريقة الحل ·· » ·

« ··· ونحن نذكر الفرنساويين بين الآن والآن بأن المنشأة التابعة فى فرنسا (أى سفارة مصر فى فرنسا) لما تشرفت بتهنئته فيلكس رئيس الجمهورية وصاحب علم الحرية المثلث قالت له بوجه باسم ضاحك بالآمال اننا نؤمل أن تحل المسألة المصرية على يديك حلا عاجلا وعادلا » (١) ·

وفى اليوم التالى نشر « المؤيد » برقية لوكالة « هافاس » للأنباء تشير ضمنا ما لفرنسا من مصالح فى مصر ، وهذا مالم تكن الصحف المصرية الأخرى تبرزه أو تشير اليه رغم أنه كان منقولا عن جريدة بريطانية ـ وتقول البرقية :

« هافاس ـ لندره فى ٢٠ منه ـ تحث الديلى كرونكم اللورد سالسبورى على ايجاد وسيلة للتوفيق بين مصالح فرنسا ·· ومصالح انكلترا بمصر » (٢) ·

ويشير « المؤيد » الى علاقة السياسة البريطانية فى مصر بمشروع سيسل روود ، والى أطماع بريطانيا فيقول :

---

(١) « المؤيد » ـ مقال المسألة الافريقية بحزافرها ـ عدد ٢٠ يناير ١٨٩٦ ـ ص ٦ ·

(٢) « المؤيد » ـ عدد ٢١ يناير ١٨٩٦ ـ ص ٣ ·

« ... وبالاجمال حلم الانكليز بمشروع سيسل رودى أنهم ملكوا أعظم قطر وسط أعظم قارة في العالم لا تزال بكرا في الاستعمار ، كثيرة الخيرات والفوائد ولم يكن هذا الحلم من قبيل الأحلام التي لا أثر لها في الخارج بل ان الانكليز ساروا في تفسيره بتطبيقه واقعيا فأبرزوا منه لخير العقل – **أولا** : احتلال مصر على اثر مأموريات غوردون باشا وصمويل بيكر باشا وكل انكليز السودان المصرى الذى استعملوا خزينة مصر وحكومتها ومشروعاتها الكثيرة لمصلحة بريطانيا تارة باسم منع الرقيق وأخرى باسم الاكتشافات العملية » (١) .

ويشير « المؤيد » في مقاله هذا الى أن احتلال مصر سيقضى على مشروع سيسل رودى بينما تصورت بريطانيا عكس ذلك ، وأن تدخل غوردون باشا في السودان أدى الى نجاح ثورة المهدى .. ويقول « المؤيد » :

« أهم الأسباب الموجبة لسقوط مشروعات سيسل رودى ينحصر في احتلال انكلترا لمصر ويتفرع عن هذا تدخل غوردون باشا في السودان الذى نشأ عنه قيام محمد أحمد المهدى مدعيا المهدوية وقد ظن الانكليز أن شبوب نيران العصيان في السودان يكون شفيعا لقيامهم في مصر بعد اخماد نيران الثورة العسكرية فجاءت النتيجة عكس هذا الأمل لأن اتساع المهدوية في السودان وان يكن الانكليز قد اتخذوه حجة لطول مقامهم في القطر المصرى الا أنه كان من جهة أخرى أول صدمة قاسية أصابت هذا المشروع البريطانى العظيم . ولعل ضربة المهدويين هذه كانت أول شىء مس اسم وشرف الانكليز في السياسة الدولية اذ أنه قبل أن تتنبه الدول

---

(١) « المؤيد » – مقال « المسألة المصرية بحزافرها » – عدد ١٩ يناير ١٨٩٦ – ص ١ .

الأوربية لمشروعات بريطانيا العظمى فى أفريقيا ، كانت عرقلتها من أهالى كردفان » (١) .

وقد كان من الواضح أن هناك تقاربا شديدا بين وجهة النظر التى كانت تدافع عنها جريدة « المؤيد » وبين ما كان ينشر فى نفس الوقت بالصحف الفرنسية (٢) .

وقد أدى هذا النهج الذى انتهجته جريدة « المؤيد » فى معالجتها للشئون الافريقية الى تورطها فى الاشادة بقوة المهدية فى السودان ، كما أنها كانت تلقى مسئولية ذلك على بريطانيا ، وهذا ما يظهر بوضوح فى المقال المشار اليه والذى جاء فيه أيضا :

« ان المهدويين لم يكتفوا بتوقيف تيار النفوذ الانكليزى على شواطىء النيل فى السودان فقط بل استطالوا الى أوجنده ووقفوا دونهم الى شاطىء نهر الكونغو . وفضلا عما تقدم فاننا شاهدنا طوال احتلال الانكليز فى مصر قوى الدعوة المهدوية فى السودان ومع توالى الحروب والمكافحات والمناوشات بين الانكليز والسودانيين أولا وبين المصريين وهؤلاء ثانيا ، ثم بين الطليانيين وبينهم ثالثا وبين البلجيكيين على شواطىء الكونغو وبينهم رابعا ، لم يطرأ على قوة المهدوية أقل تغيير وهى الآن ربما كانت أقوى منها فى زمن مؤسسها محمد أحمد » (٣) .

وتتضح اتجاهات « جريدة المؤيد » نحو الاشادة بقوة المهدية فى الأخبار والبرقيات التى كانت تنشرها عن موقف ايطاليا فى

---

(١) « المؤيد » — عدد ٢٠ يناير ١٨٩٦ — ص ١ .

(٢) أحمد شفيق باشا — مرجع سابق — ص ٢١٨ .

(٣) « المؤيد » عدد ٢١ يناير ١٨٩٦ — الصفحة الأولى .

الحبشة والتى تتضمن ما يشير الى دقة موقف ايطاليا خاصة أن تلك الأنباء كانت منقولة عن المصادر الايطالية » (١) .

وسارت جريدة « المؤيد » على نفس النهج حتى بالنسبة لهزيمة الايطاليين في (عدوه) حيث عمدت الى ابراز ضعف الايطاليين أمام القوى الافريقية ، بينما اتخذ « المقطم » موقفا مختلفا ، حيث لجأ الى نشر ردود فعل المعركة مع تجنب استخدام كلمة « هزيمة » أو حتى كلمة « معركة » كما اعتمد بصورة كاملة فى أخباره وتعليقاته على المصادر الايطالية .

واختصت جريدة « مصر » نفسها بلون مختلف عن « المقطم » وربما جاء ذلك نتيجة ما تميزت به جريدة « مصر » التى تعبر عن مصالح الطائفة القبطية الى الحد الذى جعلها تهاجم ايطاليا وتتحمس للحبشة التى تربطها بالكنيسة القبطية فى مصر أوثق الصلات .

وبالنسبة « للمقطم » ومعالجته لتطورات الأحداث فى الحبشة، نجده ينقل عن الصحف البريطانية في معظم الأحيان ، وعن المصادر الايطالية فى بعض الأحيان ، وبينما لا نجده ينشر أية أنباء أفريقية أو يمهد لتناول الموضوع بنشر الوقائع الأساسية فانه يبدأ بتناول الموضوع بنشر ردود الفعل فى روما وبنبرة تفاؤل تحت عنوان « ايطاليا والحبشة » :

« جاء فى رسالة من رومية أن الأخبار الأخيرة الواردة من أفريقية أثرت تأثيرا شديدا فى الأهلية فأصبحت المسألة الافريقية موضوع حديث الوزراء والنواب في أروقة المجلس وقد أيدت الحوادث أقوال المعارضين ولكن الوزراء يظنون أنه لا يأتى اليوم الخامس من

---

(١) نفس المرجع .

شهر مارس الا وقد طرأ على الحوادث فى افريقية ما يغير وجه المسألة » (١) ٠

كما عمد « المقطم » الى عدم تحديد مصادر أخباره أو اسم الوكالة التى ينقل عنها ، ومن أمثلة ذلك :

« ورد فى أخبار رومية أن الحكومة الايطالية ستزيد الجيش الايطالى فى أفريقيا الى الخمسين ألف رجل غير أسود » (٢) ٠

وبعد أن اتضحت أمام القارىء المصرى الهزيمة التى لاقتها ايطاليا فى الحبشة والتى أبرزها « المؤيد » لجأ « المقطم » الى النقل عن الصحف البريطانية وان احتفظ بلهجته المخففة مع محاولة استثارة العطف ـ بصورة غير مباشرة ـ على الايطاليين ٠

كما أشار « المقطم » صراحة الى علاقة الدراويش من ناحية ، وفرنسا من ناحية أخرى ، بهزيمة ايطاليا ، وتأييدهما للنجاشى ، مع ما تلقاه ايطاليا من معارضة دولية لموقفها فى الحبشة ٠٠ وقال :

« ان روسيا تعارض كل المعارضة فى ضم الحبشة الى الأملاك الايطالية كما أن فرنسا تعارض احتلال ايطاليا لهرر » ٠

وحول ارسال الأسلحة الفرنسية الى الأحباش قال « المقطم » ـ فى نفس العدد ـ نقلا عن احدى الصحف الايطالية التى لم يذكر اسمها :

« ان حكومة ايطاليا ستعرض على الدول الموقعة على معاهدة

---

(١) « المقطم » ـ عدد ٢ مارس ١٨٩٦ ٠
(٢) « المقطم » ـ عدد ٣ مارس ١٨٩٦ ٠

بروكسل أوراقا تثبت أن الفرنسيين يبيعون الأسلحة للأحباش ويرسلونها اليهم بطريق أوبك » ٠

وعاد « المقطم » يشير الى نفس الموضوع بعد ذلك بعدة أيام قائلا :

« نشرت احدى الجرائد الايطالية أن ايطاليا أمسكت أوراقا ذات شأن تثبت انزال الأسلحة الى جيبوتي من الأملاك الفرنسية وارسالها منها الى الحبشة ولو نشرت الحكومة الايطالية تلك الأوراق لاقتضت بذلك قطع العلاقات السياسية بين فرنسا وايطاليا الا ان حكومة ايطاليا عزمت على عرض هذه الأوراق قبل نشرها على الدول التي أمضت معاهدة بروكسل حيث تقرر ألا ترسل الأسلحة الى بلاد الحبشة الا بمصادقة الحكومة الايطالية على ذلك وعليه فقد نكثت فرنسا عهودها في بروكسل وأخلفت وعودها » (١) ٠

أما عن الدراويش فقد أبرز « المقطم » دورهم في العمليات ضد ايطاليا وتدعيمهم للحبشة حيث نجده ينقل عن احدى صحف ايطاليا ما يشير الى ذلك فيقول :

« نشرت التان أن « الراس مكونين » أرسل الى الدراويش في القضارف بعد موقعة امبالا يحضهم على مقاتلة الايطاليين فأذعنوا اليه » (٢) ٠

ويبدو أن « المقطم » قد لجأ الى نشر تلك الأنباء كنوع من التمهيد أو تهيئة الأذهان والرأي العام في مصر للتحرك البريطاني، فضلا عما كان للمقطم من صلات وثيقة بالسلطات البريطانية في مصر ، وما أشار اليه عن اتفاق « الأخبار المصرية والايطالية » حول

---

(١) المقطم ـ عدد ٩ مارس ١٨٩٦ ٠

(٢) المقطم ـ عدد ٤ مارس ١٨٩٦ ٠

الأخطار المتوقعة من الدراويش ، فان ما نشره « المقطم » يتفق تماما مع اهتمام الدوائر السياسية البريطانية - وبالذات اللورد كرومر - بالموقف في كسلا وما يحيق بها من أخطار (١) . فقد أرسل اللورد كرومر في ٢ مارس ١٨٩٦ الى حكومته ينبهها الى تهديدات الأنصار للايطاليين في جبهة كسلا ، ثم عاد ليبرق اليها بما يفيد أن كسلا قد أحكم الحصار عليها » (٢) .

وردا على ما أشار اليه « المؤيد » حول السعي لايجاد حلول للمسألة المصرية ودور السلطان العثماني في هذا المجال ، ينشر « المقطم » مقالا طويلا بعنوان « الحضرة السلطانية والمسألة المصرية » ينقل فيه عن جريدة « التايمز » البريطانية وينوه بدور بريطانيا في المنطقة ويسخر من محاولات السلطات في المطالبة بجلاء الانجليز عن مصر ويشكك في أي ضمانات يعد بها السلطان عبد الحميد .. ويقول « المقطم » في مقاله نقلا من « التايمز » :

« ان السلطان عبد الحميد طلب منا حل المسألة المصرية على أن يضمن لنا سلامة طريق الهند » (٣) .

وعلى نهج « المقطم » نهجت جريدة « الاتحاد المصري » التي تماثلت طريقتها في تناول الأحداث مع طريقة « المقطم » في المعالجة الخاصة في الأعداد التي صدرت خلال الأيام القليلة التي سبقت تقرير حملة دنقلة وتشابهت أعداد « الاتحاد المصري » بأعداد « المقطم » سواء في عدم ابراز هزيمة ايطاليا في الحبشة أو بالنسبة للأخطار التي تحيط بكسلا .. واكتفت جريدة « الاتحاد المصري »

---

(١) المقطم عدد ٧ مارس ١٨٩٦ .

(٢) مكي شبيكة - السودان عبر القرون - الطبعة الثالثة (بيروت - بدون تاريخ) ص ٤٣٠ .

(٣) محمد فؤاد شكري - مرجع سابق - ص ٤٩٩ .

بنشر ردود فعل هزيمة ايطاليا ، كما أبرزت تهـــديد الدراويش لكسلا ، وعادت الى ذلك فى عدد تال مع محاولة التخفيف من دقة موقف ايطاليا بل والتشكيل فى حقيقة ما تعانيه .

وبينما كان هذا هو ما يشكل الزاوية التى تناولتها الصحف المصرية حتى يوم ١٢ مارس ١٨٩٦ ، نجد جريدة « المقطم » تنشر ما نمى الى علمها بما سيتم من تحركات ونراها تنفرد بخبر صغير له دلالته الكبيرة ويقول هذا الخبر :

« تتضمن الغازتات العسكرية التى تصـــــدر اليوم ترقية اليوزباشى محمود صدقى الى رتبة صاغوتو ونقله الى الأورطة الرابعة عشرة السودانية الجديدة وقد تضمنت أيضا ترقية عدد من الملازمين الى رتبة يوزباشى ونقلهم الى هذه الأورطة » (١) .

وقد نشر هذا الخبر فى نفس اليوم الذى أرسل فيه اللورد سلسبرى أوامره الى كرومر ليقوم الجيش المصرى بحملة لاسترجاع دنقلة (٢) .

---

(١) « المقطم » ـ عدد ١٢ مارس ١٨٩٦ .

(٢) Cromer : Modern Egypt — vol. 11, London (1908) p. 581.

ومحمد فؤاد شكرى ـ مرجع سابق ـ ص ٤٩٩ .

موقف الصحف اليومية من مسألة السودان

موقف الصحف اليومية
من مسـألة السـودان

مثلما اختلفت الصحف المصرية اليومية فى أسلوب تناولها لاخبار هزيمة ايطاليا فى عدوة ، وفى معالجتها مراحل القتال بين الحبشة وايطاليا ـ فقد اختلفت أيضا فى أسلوب تناولها موضوع حملة دنقلة وفى طريقة عرضها له ـ تماما مثلما اختلفت فى معالجة المسألة المصرية وأحداث السودان قبل تقرير الحملة .

وقد جاء قرار ارسال الحملة فجـأة يوم ١٢ مارس ١٨٩٦ عندما أرسل سلسبرى الى كرومر فى مصر يكلفه بارسال حملة لاسترجاع دنقلة ، واذا كان ذلك يبدو بالفعل قرارا مفاجئا وسريعا فان المقدمات كلها كانت تنبىء به ، حيث يصف كرومر الموقف فى ذلك اليوم قائلا ان رئيس وزراء بريطانيا كان يبدو كرجل يجلس فى قارب خارج النهر الافريقى ينتظر موجة عالية تحمله الى حيث يبحر ، ويبدو أن هذه الموجة جاءت عندما طلب السفير الايطالى فى لندن قيام الجيش المصرى بعمليات عسكرية لتخفيف الضغط عن كسلا حيث كان رد سلسبرى سريعا وحاسما وجاء بعيدا عن التمهل والتأنى ، ووصفه كرومر نفسـه بأنه كان قرارا مفاجئا يتسم بالتسرع ولا يأخذ فى الاعتبار المصاعب المالية والعسكرية التى لابد من مواجهتها .

ولم تكن الصحف المصرية تدرك يومها شيئا عن هذه الأحداث، بل ان أحدا فى مصر كلها لم يكن يتصور أن مثل هذا القرار سيتخذ

دون استجلاء رأى الخديو الذى فوجىء فى اليوم التالى (١٣ مارس) برئيس النظار ـ مصطفى باشا فهمى ـ يخبره بأن اللورد كرومر أبلغه قرار الحكومة الانجليزية ارسال حملة الى السودان ٠

ولكن الصحف المصرية التى صدرت فى هذا اليوم لم تشر الى ذلك ، كما أنه يبدو من أعدادها الصادرة قبيل يوم القرار أنها لم تكن على علم باحتمالات الحملة أو بنيـــة ارسالهـا وكانت جريدة « المؤيد » محتجبة بسبب اجازة عيد الفطر ولم تصدر عددها التالى الا يوم ١٨ مارس ولكنها خلال هذه الفترة اضطرت الى اصــــدار ملاحق خاصة تتضمن أخبار الحملة وقرار ارسالها ٠ وكانت جريدة المقطم منذ بداية تناولها لموضوع الحمـــلة تحاول ربطه بالحـــكومة المصرية وبارادتها رغم أن هذه الحكومة كانت أول من فوجىء بهذا القرار ، ويبدو أن هذا الأسلوب فى معالجة موضــــوع الحملة كان نوعا من الاعتذار البريطانى لخديو مصر أو لتجنب استثارة الرأى العام فى مصر ضد الحملة نتيجة استئثار الحكومة البريطانية بقرار ارسالها دون التشاور مع الحكومة المصرية ٠ ويتضح أسلوب معالجة « المقطم » لموضوع ارسال الحملة فى الأنباء التى نشرها صباح اليوم التالى لاجتماع الخديو برئيس النظار يوم ١٣ مارس وهو الاجتماع الذى فوجىء فيه الخديو برئيس النظار يخبره باخطار كرومر له فى نفس اليوم بقرار ارسال الحملة ٠

وعالجت جريدة « المقطم » هذا الموضوع قائلة :

« أطال سمو الخديو المعظم وعطفه ومصطفى باشا فهمى وزيره وغيره من رجال حكومته المداولة والنظر أمس فى فتح الســـودان اجابة لرغائب الأمة وتحقيقا لأمانيها وآمالها ، والهمة مبذولة الآن فى تدبير ما يلزم لتسيير الحمـــلة من الجنود المصرية المظفرة على السودان بعد انقضاء عيد الفطر المبارك ٠ وقد أصدرنا هذا الصباح ملحقا نهنىء فيه السادة المسلمين بالعيد الســـعيد والفتح من الله

والنصر القريب فى عهد سمو الخديو المعظم أدام الله عزه وعلاه وشيد مجد مملكته مع حكمة وزرائه الأمناء وفى مقدمتهم وزيره الدستورى المتصف بالعقل والأمانة والحكمة وجر المنافع للوطن والأمة مصطفى فهمي باشا رئيس النظار » (١) .

واستمرت جريدة « المقطم » على هذا المنوال بحيث توحى الى قرائها وكأن أمر الحملة هو أمر مصرى يخص المصريين ويحقق آمالهم وأن القائمين على الأمر هم المصريون سواء الخديو أو وزرائه ورئيسهم ، وهذا الأسلوب « المقطمى » فى المعالجة كان على نقيض الأسلوب الذى اتبعه « المؤيد » فى معالجة موضوع الحملات .

كان موقف جريدة « المؤيد » يختلف تمـــاما عن موقف « المقطم » ، فعالج أنباء الحملة بطريقة مخالفة أبرز بهـــا مفاجأة السلطات المصرية والرأى العام المصرى بتقرير ارسال الحملة ، ولم تكن جريدة « المؤيد » فى هذه الأيام تقوم باصدار أعدادها العادية بل كانت محتجبة بسبب أجازة العيد ، ولكنها استمرت فى اصدار طبعات خاصة فى حجم ربع صفحتها العادية وأطلقت عليها اسم « ملحقات » . وقد ضمن المؤيد « ملحقه الأول الذى صدر فى اليوم التالى لاجتماع الخديو برئيس النظار وتلقى أنباء الحمـلة الكشف بوضوح عن المفاجأة التى فاجأت بها بريطانيا شعب مصر وحكومته بشأن تقرير الحملة ، تلك المفاجأة التى لم تكن لها أية انعكاسات على صفحات الصحف الأخرى .

ومن بين ما قاله « المؤيد » فى هذا الملحق :

« .. هذا الحادث الجسيم الذى انقضت صاعقته على أم رأس المصريين فى هذا العام بمقذوفات خارجية انكلترا لم يكن له مثيل

---

(١) « المقطم » ـ عدد ١٤ مارس ١٨٩٦ .

من الحوادث التى عهدها المصريون فى مثل هذه الأيام بل وفى غيرها على الاطلاق لأنها قضت على مسرات النفوس » (١) ٠

وكما أظهرت جريدة « المؤيد » أبعاد المفاجأة ، فقد استغلت خبر ارسال حملة الى السودان ــ لمهاجمة السياسة الانجليزية وللتأكيد على أن ارسال الحملة جاء لنجدة ايطاليا ، كما تضمن ملحقها الثانى ربطا مباشرا بين ارسال الحملات وبين عدم وجود أية نوايا للجلاء عن مصر ، وان كانت قد نسبت كلامها الى الرأى العام المصرى ٠ وقد انفردت جريدة « المؤيد » بعرض هذه المعانى دون الصحف الأخرى ٠

وكما كانت جريدة « المؤيد » تهدف ــ فى ملاحقها ــ تلك الأيام الى اثارة الرأى العام المصرى ضد الحملة والتأكيد على أن بريطانيا تقوم بتسويف وتأجيل جلائها عن مصر ، فقد استخدمت أيضا أعدادها العادية بعد ذلك فى استثارة النخوة المصرية ضد قرار الحملة بما كانت تنشره من أخبار ، وان كانت بعض تلك الأخبار لم تؤيدها الحقائق التاريخية بعد ذلك ولم يعالجها المؤرخون الذين أرخوا لهذه الفترة من تاريخ مصر ، ومن أمثلة هذه الأخبار خبرا نشر فى « المؤيد » حول التحرك من حلفا يقول :

« يؤكدون أن أكثر الحامية الموجودة فى حلفا ، قد تحرك بأمر سعادة كتشنر باشا منذ خمسة عشر يوما الى جهة (أم كولو) بين سرس وعكاشة وهو برهان على أن الأوامر كانت تصدر من لندرة الى القواد الانكليز فى الجيش المصرى مباشرة وتنفذ قبل أن تشعر بها الحكومة المحلية » (٢) ٠

---

(١) جريدة « المؤيد » ــ الملحق الأول ــ الصادر فى أول أيام عيد الفطر ــ ١٥ مارس ١٨٩٦ ٠

(٢) جريدة « المؤيد » ــ عدد ١٨ مارس ١٨٩٦ ٠

وقد ركزت جريدة « المؤيد » بالفعل على استغلال قرار ارسال الحملة دون استشارة الخديو والحكومة المصرية لتحرك الرأى العام المصرى ضد هذا القرار واستمرت « المؤيد » فى حملتها تشير الى ما يفيد عدم استطلاع رأى الخديو فى الأمر واتخـــاذ القرار دون موافقته سواء فى ملاحقها أو فى الأعداد العادية من الصحيفة ٠

وسواء أكانت « المؤيد » وسيلة من وسائل استثارة الرأى العام ضد القرار أو كانت مادتها الصحفية انعكاسا لمشاعر الرأى العام المصرى فى ذلك الوقت فالحقيقة أن الرأى العام المصرى كان متضررا ضررا بليغا من السياسة التى سارت عليها بريطانيا فى مســـألة السودان حيث ضغطت على مصر لاخلائه وعارضه فى استرجاعه ثم قررت فجأة ارسال الحمـــــلة استرجاع جزء منه دون استشارة الحكومة المصرية (١) ٠

واذا اعتبرنا ما نشرته جريدة « المؤيد » انعـــكاسا لمشاعر واتجاهات الرأى العام المصرى ، فانه كان أيضا وبلا شك يمثـــل تماما مشاعر خديو مصر واتجاهاته ، حيث لم يتصور الخديو يوما أنه سيبت فى ارسال الحملة دون أخذ رأيه ورأى الحكومة ــ الا أنه فوجىء بالأمر بعد أن أرسلت لندن الى كرومر أمر ارسال الحملة ، وكان لذلك وقعه لدى الخديو ، وقوبل بالدهشة والاستنكار مما دعاه الى أن يرفض اصدار الأمر العالى بارسال الحملة ، وهذا ما انفردت جريدة « المؤيد » باثارته (٢) ٠

وكما سبق أن أوضحنا ، جاء قرار الحملة أثناء احتجاب الصحف فى عيد الفطر وانفردت جريدتا « المقطم » و « المؤيد » باصـــدار

---

(١) محمد فؤاد شكرى ــ مرجع سابق ــ ص ٥٠٢ ٠

(٢) جريدة « المؤيد » ــ الملحق الثالث ــ ١٧ مارس ١٨٩٦ ، والعدد الصادر فى ١٨ مارس ١٨٩٦ ٠

الملاحق التى كشفت بوضوح عن اتجاهات كل منهما ، تماما كما كان بعد ذلك خلال أعدادهما المنتظمة وان شاركتها فى هذا الميدان باقى الصحف اليومية المصرية ومن بينها صحف « الأهرام » و « مصر » و « الاتحاد المصرى » وغيرها ٠

وتلاقت اتجاهات « الأهرام » مع اتجــاهات « المؤيد » وان اختلفت الدوافع المباشرة ، فقد كانت جريدة « الأهــرام » تعبر بصورة أساسية عن الاتجاهات الفرنسية وتدافع عن وجهــة نظر فرنسا التى تعارض قرار الحملة وتسلك كل سبيل لاثارة الرأى العام ضدها خاصة أن القرار اتخـــذ دون أخذ رأى الباب العالى والخديو والحكومة المصرية أو استشارة أى منهم ، كما كانت جريدة « المؤيد » تعبر عن وجهة نظر الخديو التى اتفقت ــ فى البداية بصفة خاصة ــ مع الاتجاهات الفرنسية ، ومع نصائح مستشارى الخديو الفرنسيين الذين أحاط نفسه بهم (كما أكد ذلك في مذكراته) (١)، واتفقت أيضا مع حالة القلق وعدم الرضا التى اتسم بها موقف الباب العالى ٠

وهكذا نجد جريدة « الأهرام » فى أعدادها التى صدرت خلال النصف الثانى من مارس ١٨٩٦ قد اتفقت مع اتجاهات « المؤيد » فى ملاحقه التى صدرت خلال أجازة عيد الفطر وفى أعداده التى صدرت بعد ذلك ٠

أما بالنسبة لجريدة « مصر » فقد كان موقفها عنـــد تقرير ارسال الحملة أكثر تعقيدا ، فقد كانت هذه الجريدة اليومية منـــذ

---

(١) جريدة « المصرى » ــ مذكرات الخديو عباس حلمى الثانى ــ ١٢ مايو ١٩٥١ ، وعبد اللطيف حمزة ــ أدب المقالة الصحفية فى مصر ــ ج ٤ ــ ص ٥١ ٠

وكذلك : Cromer : Abbas II, p. 35.

تاسيسها جريدة قبطية تتعاطف مع موقف الحبشة حيث لم تستطع أن تتجاهل العلاقة بين الحبشة والكنيسة المصرية . كما كانت في نفس الوقت متعاطفة مع الاحتلال البريطـــانى فى مصر وبتعارض المصالح البريطانية مع الموقف فى الحبشة الى حد الصدام ، أصبح على جريدة « مصر » أن تواجه موقفا يختلف عما كانت تواجهه سائر الصحف اليومية المصرية ويزداد عنها صعوبة وان ظل تعاطفها مع أقباط الحبشة يغلب على موقفها (١) ، وبالتــالى يميل الى معارضة الحملة الى حد الهجوم على بريطانيا .

وقد عالجت جريدة « مصر » موضوع الحملة ـ في معظم الأحيان بصورة اخبارية خالصـــــــة ولكنها نقلت عن آراء الكتاب الأجانب ما يؤيد اتجاهاتها وان ظل يبدو في صورة اخبارية تنبىء القارىء المصرى بآراء الكتاب وبما تنشره الصحف الأوربية وهو ما يمكن أن نسميه أخبار الرأى ، والتى قدمت له جريدة مصر بقولها :

« لما كانت أغلب الجرائد من مصرية وأجنبية مشتعلة اليوم بمسألة الحملة السودانية بنوع خاص أحببنا أن نورد بعض شذرات صغيرة من آراء الجرائد الأجنبيـــــة الخطيرة على سبيل الاجمـال والتلخيص » (٢) .

ولم تكن « مصر » تكتفى بنشر ذلك ولكنها عمدت الى نشر تفاصيل حول آراء زعماء حزب الأحرار الذين يشكلون المعارضة فى مجلس اللوردات والنواب ببريطانيا والذين عارضوا حملة السودان منذ بدايتها ، وكانت « مصر » تنقل كذلك عن الصحف البريطانية الكبرى وعن صحف حزب الأحرار المعارض ، ومن أمثلة ما تخيرته جريدة « مصر » للنشر حول الحملة مقال نقلته عن جريدة « الديلى

---

(١) جريدة « مصر » ـ العدد ١٠٥ ـ الخميس ٧ مايو ١٨٩٦ .

(٢) جريدة « مصر » ـ العدد ٧٨ ـ ٢ ابريل ١٨٩٦ ـ ص ١ .

نيوز » البريطانية وأعادت نشره على مساحة تزيد عن نصف صفحتها الأولى فيه :

« ... أما قول اللورد ساليسبورى عن هذه الحملة التى لا يعرف وجهتها أحد بأن الغرض منها هو صد الدراويش وتخليص كسلا ، فغير مطابق للواقع ويظهر أن السبب الحقيقى فى تجريد هذه الحملة انما هو السبب الأخير (تخليص كسلا) لأن من يقرأ تلغرافات اللورد كرومر باعتناء يعلم أن كسلا هى النقطة التى تحولت اليها أنظار الدراويش وهم يزحفون عليها ويظهر جليا من أقوال اللورد ساليسبورى أيضا أن الغرض هو مساعدة الطليان فى كسلا وذلك ظاهر من قوله أنهم تخابروا مع حكومة ايطاليا قبل أن يقرر ارسال التجريدة ، ولكن لا يمكننا أن نصدق أن الأحوال أوجبت الزحف لحماية مصر ، وقد كان يسرنا لو أن هذا العمل بمساعدة عرضية لايطاليا كما نسر أيضا لو تحسنت الظروف التى قضت على حكومة الأحرار بترك السودان وأمكنها تخليص جزء منه من مخالب التوحش ، ولكن يظهر لنا من المعلومات التى يمكننا الاعتماد عليها أن الحكومة لا تحب أن تظهر شيئا من مزاياها فى هذه المسألة اظهارا جليا وبناء عليه فالمسئولية واقعة على الحكومة وحدها التى قالت بانقاذ هذه التجريدة دون أن تظهر للأمة مايبررها أمام الرأى العام وبغير أن تعين حدودها وخاتمة مطافها » (١) .

وقد اعتادت جريدة « مصر » نشر الأخبار المحلية حول الحملة بصورة ضيقة وعلى صفحتها الثانية تحت عنوان ثابت هو « أخبار الحملة » وكانت هذه الأخبار تضم فقرات مقتضبة .

وظلت جريدة « مصر » بعد ذلك حريصة على الاشادة

(١) « مصر » ـ العدد ٧٧ ـ أول أبريل ١٨٩٦ ـ ص ١ .

بالأحباش والاشارة الى العلاقة بين أقباط مصر والحبشة سواء أكان ذلك بالنقل عن الصحف الأجنبية أو بنشر مقالاتها الخاصة .

ومن أبرز مقالات « مصر » فى هذا المجال مقالها الرئيسى على الصفحة الأولى بعنوان « الأقباط والأحباش ـ لمحة عن العلاقة الكائنة بينهما » وقالت تحت هذا العنوان :

« .... ان العلاقة بين الأقباط والأحباش مستحكمة من قديم الزمان وعرى الارتباط متينة بينهم لاختصاصهم بأهم الأمور شأنا ألا وهو الدين ، ويجدر بنا أن نذكر لحضرات القراء طرفا من تاريخ هذا الارتباط الذى يهتم به الآن جميع الأقباط » (١) .

واتخذت جريدة « الاتحاد المصرى » موقفا مؤيدا للحملة بنفس المبررات التى كان يسوقها المسئولون البريطانيون ، ودون التعرض للرد على ما ينشر ضدها ودون الاشارة الى ما أثير حول مفاجأة السلطات المصرية بقرار ارسالها وان أشارت الى أن القرار كان بريطانيا ولكنه كان أيضا قرارا سليما ، وجاء نتيجة هزيمة ايطاليا :

« لقد كان لانكسار الايطاليين فى الحبشة نتيجة لم تكن لننتظرها وهى اهتمام حكومتنا المصرية أو بالحرى الحكومة الانكليزية فى الكرة على السودان . » (٢) .

وأشارت الجريدة كذلك الى المعارضة الفرنسية مؤكدة أن هذه المعارضة ليست ذات جدوى فقالت :

« أفادت التلغرافات أن المسيو برتلو وزير خارجية فرنسا قد قابل اللورد دوفرين سفير انجلتره فى باريس وقال له ان نتائج

---

(١) جريدة « مصر » ـ العدد ١٠٥ ـ الخميس ٧ مايو ١٨٩٦ ـ ص ١ .
(٢) جريدة « الاتحاد المصرى » ـ العدد ١٥٣١ ـ ١٩ مارس ١٨٩٦ .

الحملة على السودان ستكون وخيمة على انكلترا ومصر وأيدت جرائد فرنسا أقواله وطلبت بلجاجة منع هذا الأمر • على أن الحكومة المصرية أو بالحرى الانجليزية لم تحفل بكل ذلك وأرسلت العساكر تباعا ولا نرى الآن ما يمكن أن يحول دون هذه « الحملة » (١) •

وعمدت جريدة « الاتحاد المصرى » الى النقل عن الصحف الفرنسية ما يفيد تأييد الحملة وان جاء على لسان الانجليز ، مثل ما نشرته جريدة « الفيجارو » الفرنسية من تصريحات الرحالة ستانلى - عضو البرلمان الانجليزى - عن قرار الحملة والذى جاء فيه :

« ان الرحالة ستانلى الشهير ، العضو فى البرلمان الانجليزى قال رأيه فى حملة السودان الى مكاتب الفيجارو فى لندرا وملخص ما قال ان الغاية من الحملة انما هى انقاذ كسلا وحماية مصر والحملة هى حركة حربية ليس لها أدنى غاية سياسية خفية ••• ولابد أن تبقى كسلا فى أيدى الايطاليين وذلك لصالح القطر المصرى اذ يحتمل أن تنجلى العساكر الانكليزية عن وادى النيل » (٢) •

وقد وصفت « الاتحاد المصرى » منذ البداية الحملة وأعمالها بأنها أعمال عظيمة وذلك فى سياق ما تضمنته صفحاتها من أخبار عن الحملة ومقصدها •

وقد كان لهذه الجريدة نفس موقف « المقطم » بالنسبة لمعارضة الباب العالى لقرار الحملة ثم موافقته عليها ، والتى كانت جريدة « المؤيد » هى أول من أثاره حيث حرصت على أن يكون لها السبق في نشر معارضة الباب العالى لقرار الحملة وتكرار نشر مايؤكده (٣)

---

(١) جريدة « الاتحاد المصرى » - العدد ١٥٣١ - ١٩ مارس ١٨٩٦ •

(٢) المرجع السابق - العدد ١٥٣٣ - ٢٦ مارس ١٨٩٦ - ص ١ •

(٣) جريدة « المؤيد » - ٢٥ مارس ١٨٩٦ •

وتصدت لها جريدة « الاتحاد المصرى » بينمـــا لم تتعرض جريدة « المقطم » للأمر الا بعد ورود موافقة البـــاب العالى على ارســال الحملة (١) ، وقد اتسمت طريقة معالجة « المؤيد » لهـــذا الموضوع بنفس الخط الذى اتصــفت به جميع المواقف المشـــتركة للخديو والشيخ على يوسف صاحب جريدة « المؤيد » خـــلال تلك الفترة والتى أشار اليها اللورد كرومر ووصفها بكونها خط وطنى (٢) ٠

ويبدو بوضوح أن « المؤيد » بصلته بالخديو قد حصل منذ اللحظة الأولى على نص برقية الباب العالى الى الخديو والتى أرسلت فى ٢٤ ـ ٢٥ مارس ١٨٩٦ (٣) ونشرها « المؤيد » فى عدده الصادر فى ٢٥ مارس ١٨٩٦ بعنوان « تلغراف من الباب العالى » ٠ وقد تناقلت وكالات الأنباء خبر هذه البرقية ورد الحكومة المصرية عليها نقلا عن « المؤيد » الذى صدر فى اليوم التـــالى متفاخرا بذلك ٠ واتخذت جريدة « الأهرام » ـ صاحبة الاتجــاه الفرنسى ـ نفس الموقف بعد ذلك ، تأييدا للباب العالى الذى دفعته فرنسا واستثارته لمعارضة الحملة ٠

وبينما لزمت جريدة « المقطم » فى أعدادها الصـــادرة خلال تلك الفترة ـ الصمت ـ تعرضت جريدة « الاتحاد المصرى » لبرقية الباب العالى فى صفحة داخلية وكشفت عن الدوافع الفرنســية وراءها ٠

ولم يكن دفع فرنسا وروسيا للباب العالى الى معارضة الحملة سببا كافيا لديه لكسب عداء انجلترا فأرسل يبدى موافقتـــه على

---

(١) جريدة « المقطم » ـ ٩ أبريل ١٨٩٦ ٠

(٢) Cromer : Abbas 11, pp. 4, 44.

(٣) محمد فؤاد شكرى ـ مرجع سابق ـ ص ٥٠١ ٠

الحملة ورضاه بها ، لتتلقف جريدة « المقطم » هذا الرد منذ اللحظة الأولى وتنشره فى مكان بارز ليقرأه قراء المقطم فى نفس اليوم الذى تلقى فيه خديو مصر هذا الرد الرسمى من السلطان ٠

« لما قرأ جلالة السلطان جواب الحكومة الخديوية على الرسالة البرقية التى أرسلها الصدر الأعظم يستفهم فيها عن حملة دنقـــلة أظهر سروره ورضاه وأرسل رسالة برقية الى ســمو الخديو المعظم يخبره فيها بتمام رضاه عن الحملة السودانية ويدعو بالنصر المظفر للجنود المصرية ويقول انه لم يداخله أقل ريب فى اخلاص الحكومة الخديوية وحسن مقصدها من هذه الحملة ٠ » (١)

وأبرزت جريدة « المقطم » كذلك اتجاهات الباب العالى نحو عدم الاستمرار فى الاستجابة للضغط الفرنسى ـ الروسى لمعارضة الحملة ، ونقلت عن جريدة « المراسل السياسى » الفرنسبة ما يفيد ذلك ، وأشارت الى أن الباب العالى لن يعيد الاعتراض على الحملة خلال تلك الفترة ، وقالت :

« نشرت الكروسبوندانس بوليتيك فى رسالة من الاستانة أن الباب العالى عقد مجلسا فى الاستانة للمذاكرة فى خبر الحملة السودانية ثم أمر دولتلو مختار باشا الغازى أن يعترض على الحكومة الانكليزية عن ذلك فأجابه اللورد سلسبرى أن القصد من الحملة السودانية قضاء لمصلحة مصر وحدها ولا رغبة فى مذاكرة السفير العثمانى من هذا القبيــل ويؤكدون ان بعض الدول حرض الباب العالى للاعتراض ثانية على حملة دنقلة ولكن المحافل السياسية تظن أن السلطان لا يطاوعها على ذلك ولا يعيد الاعتراض على الحملة فى الأحوال الحاضرة ٠ » (٢)

---

(١) جريدة « المقطم » ـ ٩ أبريل ١٨٩٦ ٠
(٢) جريدة « المقطم » ـ ١٠ أبريل ١٨٩٦ ٠

وهكذا لم تكن الصحف اليومية المصرية فى تناولها لموضوع حملات السودان ، ومعالجتها لكل ما أثاره قرار ارسالها ، بعيدة عن التيارات السياسية الدوليـــة أو ما يجرى على المسرح الدولى بل تناولت الصحف المصرية كل ما يتعلق بقرار الحملة وبكل ما أثير حوله وأثر فيه أو تأثر به ٠

وقد حملت جريدة « المقطم » على فرنسا وروسيا لمعارضتهما قرار الحملة وتحريضهما الباب العـــالى ضد ارسالها ، وشاركت « المقطم » فى ذلك جريدة « الاتحاد المصرى » بينما اتخذ كل من « المؤيد » و « الأهرام » موقفا معارضا لهذا الاتجاه ، وحملت جريدة « المؤيد » ـ منذ اليوم الأول لقرار الحملة ـ لواء اثارة المعارضـــة الأوربية للاتجاهات البريطانية ولقرار بريطانيا ارسال حمـلة الى السودان ٠

وكما وجهت جريدة « المؤيد » بعض مقالاتها الى الرأى العام الأوربى ، فقد أبرزت كذلك المعارضة الفرنسية للحملة وتخيرت من البرقيات الواردة من وكالات الأنباء ما يدعم اتجاهها هذا :

« نيس عن باريس ـ فى ١٥ مارس ـ تعارض الجرائد بشدة ارسال حملة دنقلة وقد استدعى البارون دى كورميل سفير فرنسا فى لوندره الى باريس للمداولة معه فى الحالة الحاضرة ٠ »

« باريس فى ١٦ ـ استلفت مســـيو برتلو وزير خارجية فرنسا اللورد دوفرين سفير انكلترا الى خطارة المواقف التى تنجم عن الحملة الى دنقلة » (١) ٠

كما تولت جريدة « المؤيد » كذلك الدفاع عن موقف فرنسا فى الكونغو واستبعدت ارسال حملة فرنسية الى السودان عن طريق

---

(١) جريدة « المؤيد » ـ ١٨ مارس ١٨٩٦ ٠

الكونغو وان أشارت الى أن الكونغو دعت فرنسا للدفاع عن الأملاك الفرنسية البلجيكية فيما وراء بحر الغزال بعد أن ظهر أمر الحملة المصرية المساقة بالارادة الانجليزية والضباط الانجليز (١) ، كما أشارت جريدة « المؤيد » الى أهمية التحـــالف الفرنسى البلجيكى وخطورته على الموقف فى أفريقيا (٢) ، وأبرزت كذلك الاتصالات بين الباب العالى من جهة وروسيا وفرنسا من جهة أخرى حول تســوية المسألة المصرية وكان ذلك بعد موافقة الباب العـــالى على الحملة ، وقالت جريدة « المؤيد » :

« سأل الباب العالى روسيا وفرنسا التداخل لتسوية المسألة المصرية وطلب أيضا مساعدة ألمانيا فى هذا الشأن وكلف قسطاكى باشا بمخابرة اللورد سالسبرى أيضا • » (٣) •

وكثيرا ما لجأ « المؤيد » الى الاشارة للنوايا التى دفعت بريطانيا الى ارسال الحملة باعتبارها نوايا استعمارية « وان هزيمة ايطاليا ما هى الا مبرر فقط من قبيل ذر الرماد فى عيون أوربا المتحننة الآن على ايطاليا الكسيرة والتمويه عليها بأنهـــا لم تحرك ساكن جنودنا الا لكى تصرف وجهة الدراويش عن كسلا ، أما الحقيقة التى لا مرية فيها فهى أن انكلترا لم تقدم أنفس ولا أموال المصريين الى ساحة الوغى والقتال الا لتخدم مصلحتها الخاصة لا مصلحة ايطاليا ولا مصلحة مصر (٤) • كما أبرزت هذه الجريدة موقف المعارضة فى البرلمان الانجليزى وصحف الأحرار والتى وصفتها بأنها « تطلبه

---

(١) جريدة « المؤيد » ــ ١٨ مارس ١٨٩٦ •

(٢) جريدة « المؤيد » ــ ٢١ مارس ١٨٩٦ •

(٣) جريدة « المؤيد » ــ ٢٦ مارس ١٨٩٦ •

(٤) جريدة « المؤيد » ١٨ مارس ١٨٩٦ •

تصريحات أوضح وهي معارضة كل المعارضة لمسألة فتح السودان » (١) ٠

وبالنسبة لمعالجة « المقطم » للموقف الدولى فى تلك الفترة فقد عمد الى معالجته باعتبار أنه « لا علاقة لهذه الحملة بالمحالفات الأوربية » (٢) ، كما أبرز رضاء ايطاليا التام بموقف الحكومة البريطانية وأكد فى أخباره على أنه قد « أظهرت حكومة ايطاليا سرورها بارسال الحملة الى دنقلة وقد أقر مجلس الشيوخ على رفع الشكر الى الحكومة الانجليزية على حسن العواطف التى بدت منها » (٣) ولم تخف الجريدة معارضة فرنسا للحملة ، بل عمدت الى مهاجمة السياسة الفرنسية المعارضة لحملة السودان ، غير أنها بقيت تشير الى قرار ارسال الحملة باعتباره قرارا مصريا انجليزيا ٠

ويبدو أن « المقطم » كان يعتبر قرار ارسال الحملة ضربة سياسية ناجحة أصابت فرنسا وأدت الى ارتباك فى السياسة الخارجية لفرنسا وصديقتها روسيا ، كما كان يرى أيضا أن المؤيدين لفرنسا فى مصر قد أصيبوا بضربة حقيقية ، وقالت الجريدة فى هجومها على أنصار فرنسا فى مصر :

« ان عملا عظيما كهذا الفتح المجيد ، كهذا الفتح العظيم يكبر على (الفرنسيون) ٠ (٤) المناظرين لانكلترا فى هذه الديار خصوصا وفى مسائل الاستعمار عموما فلا عجب اذا ساءهم خبر الحملة السودانية وانتحلوا لذلك من العلل ما يشفى غليلهم ويبرد لظاهم

---

(١) جريدة « المؤيد » ـ ٢١ مارس ١٨٩٦ ٠

(٢) جريدة « المقطم » ـ ١٠ أبريل ١٨٩٦ ٠

(٣) نفس المرجع ٠

(٤) وردت هكذا وصحتها « الفرنسيين » ٠

مثل قولهم ان انكلترا فعلت ذلك فرارا من الجلاء عن مصر مع علم المختصين جميعا وأن فرنسا لم تفاتحهم بأمر الجلاء » (١) ٠

وكان « المقطم » يقصد « المؤيد » ومقاله الذى سبق الاشارة اليه ٠ وسارت جريدة « الاتحاد المصرى » على نفس منوال جريدة « المقطم » وان تميزت بالتركيز على تعاطف فرنسا وروسيا مع الأحباش والدراويش . كما تميزت أيضا بالدفاع عن بطولة ايطاليا فى الحبشة ٠

واذا كانت معركة « فركة » هى أول اشتباك هام بين قوات حملة دنقلة وقوات الدراويش فقد سبقت ذلك اشتباكات وتحركات واستعدادات تناولتها الصحف اليومية بشىء من الافاضة ٠

واذا كانت الصحف اليومية قد اختلفت مواقفها وتباينت اتجاهاتها بالنسبة لغرض وإسلوب معالجة أخبار الحملة منذ أن صدر قرار ارسالها ، كما اختلفت مواقفها وتباينت اتجاهاتها بالنسبة لقضية تمويل الحملة وما أثير حولها ــ وهو ما سنتناوله فى غير هذا المكان ــ فان اختلافها فى عرض أنباء القتال لم يكن على نفس الدرجة من الاختلاف والتباين وان ظلت المعارك الصحفية بين « المؤيد » و « المقطم » مستمرة ٠

وقد بدأ « المؤيد » يعبر عن موقف الرأى العام فى مصر وراء أبنائه الذين يخوضون الحرب فى السودان ــ حتى ولو كانوا قد سيقوا الى هناك بقرار بريطانى ــ عندما نشر مقالا بعنوان « كلمة الى الجيش المصرى » حاول بها رفع معنويات الجند المصرية وان استمر « المؤيد » فى مهاجمة القادة الانجليز الذين يتولون قيادة الحملة ، مع التأكيد على السيادة المصرية العثمانية ومما جاء فى مقاله قوله :

---

(١) جريدة « المقطم » ــ ١٨ مارس ١٨٩٦ ٠

« أيها الضباط والعساكر المصريون ، انكم حماة الوطن العزيز وعدته التي يدخرها لأوقات الشدائد العظام وان أشرف وظيفة لكم انما هى التى تؤدونها فى ساحة الحرب والقتال اما دفعا لطوارىء توشك أن تحل بالديار والديار واما استجلابا لفخار الفتح الذى فطرت نفوس الشجعان على حبه فى كل زمان ومكان ...

« .... اذا ذكرتم أنكم تسيرون الى هذه الحرب تحت امرة قواد أجانب عنكم فاذكروا أنكم أنتم وقوادكم تسيرون تحت الراية المصرية العثمانية وفي خدمتها وأن القيادة العامة عليكم لأميركم المعظم نائب خليفتكم الأعظم وأن الذين تقاتلونهم قد مرقوا من الجامعة العثمانية عصيانا وتمردوا كما أفتى بذلك مولانا شيخ الاسلام فى مصر منذ أعوام . فحاربوهم تأديبا لهم وزجوا وانتصروا عليهم استهداء اياهم الى سبيل الرشد وجمع الكلمة ..

« .... أيها الضباط والعساكر المصريون - ليس عليكم أدنى تبعة فى أن تخطىء السياسة التى استنفرتكم الى ساحة الوغى رأيها . ولكن التبعة كل التبعة ، والعار كل العار يصيبكم اذا لم تؤدوا وظيفة الجندى الباسل المقدام عندما يلتقى الصفان ويثور نقع الحرب فى الميدان .. » (١) .

وفى نفس اليوم عندما ظهر هذا المقال فى جريدة « المؤيد » نشرت جريدة « المقطم » مقالا بعنوان « فتح السودان » لم يتضمن الأسلوب الخطابى الذى تضمنه مقال « المؤيد » ولكنه اتخذ أسلوبا وصفيا ضمنه «المقطم» مما يفيد فرح الشعب والجيش والأمير بتسيير حملة السودان .. جاء فيه :

« ... سبقنا بنشرنا للقراء الكرام تسيير الجنود المظفرة

---

(١) جريدة « المؤيد » - ١٨ مارس ١٨٩٦ .

لفتح السودان وكللنا البشرى بتهنئة زففناها اليهم فى آخر يوم من رمضان فطابت لها نفوسهم وفرحوا فرحا لا يوصـــف حتى لا يكادوا يصدقونها من فرط السرور ..

« .... لا مشاحة فى أن كل مصرى من الأمير الى الصعلوك ومن أعلم العلماء الى أجهل الجهلاء يتمنى استرجاع الســودان فى أقرب عهد ولا يجهل أحد من قراء الجرائد المصرية أن هذه الجرائد على اختلاف مذاهبها وأميالها مجمعة على وجوب استرجاع السودان راغبة فيه . » (١) .

غير أن جريدة « المؤيد » ردت على ذلك فى اليوم التالى بمقال قالت فيه :

« لقد قررت حكومة انكلترا سوق الجنود المصرية الى ما وراء الحدود لقتال الدراويش فى داخلية الســودان فسـبقت الجرائد المستعملة بين ظهرانينا فى مصلحة الاحتلال على جارى عادتها الى تبشيرنا بأنه سينال مصر من وراء ذلك الخير الجزيل والنفع العظيم والفتح المبين متخيلة أن عمل انكلترا فى مصر لا يزال محتاجا الى الغش والمغـالطة ومادرت أن الجريدة الانكليزية التى تعتبر لسان الوكالة البريطانية فى القطر المصرى تصرح فى نفس اليوم الذى أعلنت فيه كل البشرى بأن تسيير الحملة من الحدود الى دنقلة ليس الا لمصلحة ايطاليا . » (٢) .

وبالفعل كانت « المقطم » هى صاحبة الســبق ـ فى معظم الأحيان ـ فيما يختص بنشر أنباء الحملة والتحركات والاستعدادات العسكرية ، حيث كانت وثيقة الصلة بالسلطات البريطانية كما أن

---

(١) جريدة « المقطم » ـ ١٨ مارس ١٨٩٦ .

(٢) جريدة « المؤيد » ـ ١٨ مارس ١٨٩٦ .

مراسلها المرافق للحملة كان ـ بالضرورة ـ أقرب الى القادة الانجليز وأولى باهتمامهم ٠

ولم يقابل هذا من جريدة « المؤيد » بالرضا والاستكانة . فلجأت الى محاولة الوصول الى الأنباء من غير طريق القيادة العسكرية ٠ وكانت القضية التى عرفت باسم « قضية التلغرافات » والتى سنتناولها بعد ذلك بالتفصيل ، ولجأت جريدة « المؤيد » أيضا فى أسلوب عرضها لأنباء الحملة ومعاركها الى الربط المستمر بين الأحداث التكتيكية على مسرح العمليات جنوب أسوان وبين الأبعاد الاستراتيجية للحملة بما فى ذلك الموقف السياسى فى مصر وعلى المسرح الدولى ، وكذلك هاجمت « المؤيد » القيادة البريطانية وأبدت اهتماما متزايدا بأخبار الدراويش وقوتهم مع ابراز الصعوبات التى يواجهها الجيش الزاحف الى دنقلة ، وتزعمت الاتجاه الاستراتيجى الذى كان يؤيد احتلال كسلا وهرر ، والتى يرى أنها :

« أنفع لمصر بكثير من احتلال دنقلا ٠٠ بانها لا تضعف الدراويش فى شىء وليست الا عبئا ثقيلا يلقى على كاهل الحكومة المصرية » (١) ٠

وتجاهلت جريدة « المؤيد » رغم صلتها الوثيقة بالخديو ، خبر توديعه القوات قبل سفرها الى الجبهة والتى قبل الخديو أن يودعها بعد الحاح اللورد كرومر (٢) ٠ غير أن جريدة « المقطم » حرصت على نشر هذا الخبر دون أن تشير الى الكلمة التى ألقاها فى الجنود » (٣) والتى لم تنشرها أيضا أية صحيفة أخرى والتى قال فيها الخديو للجنود :

---

(١) جريدة « المؤيد » ـ ١٩ مارس ١٨٩٦ ٠

(٢) أحمد شفيق باشا ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٠ ٠

(٣) جريدة « المقطم » ـ ١٦ مارس ١٨٩٦ ٠

« احفظوا اسم وشرف الجيش المصرى الذى لا يزال شريفا . » (١) .

واذا كان تجاهل « المؤيد » لهذا التوديع مرجعه عدم رضاء الخديو عما قام به بضغط من كرومر والتزام « المؤيد » بمعارضة قرار الحملة ، فان تجاهل « المقطم » للكلمة كان مرجعه عدم رضاء اللورد كرومر على ما قاله الخديو لجنوده حيث أبرق الى اللورد سالسبورى يقول ان الخديو رفض أن يقول للجنود قبل رحيلهم أى شيء يفيد رضاءه عن الهدف من الحملة باعتباره استرجاعا لجزء فقط من السودان (٢) . وعاد « المؤيد » الى نشر خبر سفر هذه القوات بعد (تشرفها بلقاء الجناب العالى الخديو) دون أن يشير الى التفاصيل (٣) .

واذا كان شهر مارس ١٨٩٦ قد شهد توالى الأحداث منذ اتخاذ قرار ارسال الحملة حتى تحرك الجيش الى جبهة القتال ، فان شهر مايو قد شهد سلسلة من الأحداث بدأت بتحرك الجيش الى عكاشة فى أول مايو وما تلى ذلك من استطلاع واشتباكات محدودة الى أن وقعت معركة « فركة » فى يونية ، أما شهر أبريل الذى شهد الزحف ومد الخطوط الحديدية والخطوط البرقية وتشوين الذخائر والمؤن فى حلفا (٤) ، فقد كان بمثابة فترة ركود صحفى انعكس على الصحف المصرية التى حاولت الاستمرار فى معاركها الصحفية خلال تلك الفترة .

وأشاعت « الأهرام » أن الحملة ستقتصر على الوصول الى

---

(١) احمد شفيق باشا ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨١ .

(٢) محمد فؤاد شكرى ـ مرجع سابق ـ ص ٥٠١ ، ٥٠٢ .

(٣) جريدة « المؤيد » ـ ١٨ مارس ١٨٩٦ .

(٤) مكى شبيكة ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣٥ .

عكاشة وأن بريطانيا قد تراجعت أمام معارضة فرنسا وروسيا (١) وتصدى « الاتحاد المصرى » و « المقطم » لذلك ، وبادرت الأولى بالتأكيد على أن الاجراءات الحربية الحقيقية لاتكون قبل شهر سبتمبر أو أكتوبر القادم لحين انتهاء زمن الحر الشديد وهو أمر نقرر من ساعة بدء الحملة فلا محل الآن لمثل هذه الأقوال التى لا طائل تحتها (٢) .

وأكدت جريدة « المقطم » نفس المعنى فى اليوم التالى وكررت ان هناك من « لا يزالون يقولون ان الحملة قد أوقفت ويكابرون فى ذلك مع تكذيبنا له ويزعمون أن بقاء الجنود المصرية فى عكاشة الآن يثبت قولهم ، مع أن « المقطم » وغيره من الجرائد الصادقة قد قالت صريحا قبل سفر الجنود من هذه العاصمة أن الحملة تبقى فى عكاشة الى ما بعد الفراغ من اقامة سكة حديد بينهما وبين سرس وأنها لا تتقدم منها الا بعد اتخاذ كل احتياط لحفظ الاتصال وخط الرجعة وراءها ولقهر العدو أمامها بحيث يكون سرها مأمونا في الحالين » (٣) .

وعمدت جريدة « المقطم » أيضا الى نشر ما يمكن أن يسمى حملة صحفية تثير فيها الرأى العام المصرى ضد الدراويش ، كان قوامها مقالات تهاجم فيها المهدية وتحمل فيها على المهدى الذى تشبه بالرسول عليه الصلاة والسلام (٤) ، كما نشرت ملخصا لكتاب صلاتين باشا « النار والسيف » وتعليقا عليه ، مع ابراز وصفه لأحوال السودان تحت حكم الدراويش ، ووصفا لقواتهم ومواقعهم وسوء معاملتهم الأسرى وتمثيلهم بالقتلى ، مع التهوين من قواتهم .

---

(١) جريدة « الأهرام » ـ ٧ ابريل ١٨٩٦ .

(٢) جريدة « الاتحاد المصرى » ـ ٩ أبريل ١٨٩٦ .

(٣) جريدة « المقطم » ـ ١٠ أبريل ١٨٩٦ .

(٤) جريدة « المقطم » ـ ٤ أبريل ١٨٩٦ .

وبينما كانت جريدة « مصر » تتخذ الاتجـــاه المعارض التى تتزعمه جريدة « المؤيد » ولكن لموضوعية أكثر ونبرة أهدأ ، رأينا جريدة « المؤيد » تثير التخوفات بشكل يشوبه الغموض وقد أسندت مادتها الى أن الأخبار التى صارت تثير المخاوف وقالت :

« كنا نمنى النفوس بأمانى كثيرة ونحسب أنفسنا ذاهبين الى الفتح المبين بحركات رياضية ليس فيها الا اللهو والخلاعة » (١) ٠

وقبل أن تفرض أنباء الاشتباكات نفسها على الصحف المصرية، عمدت سائر الصحف على الاهتمام بأخبار الموقف فى الســـودان الشرقى وأن عثمان دقنه زاحف على سلكات بعدد عظيم من الرجال ٠٠٠ واستعداد الدراويش هائل والمدد اليهم متواصل (٢) ٠

كما أبرزت جريدة « المقطم » بعـد ذلك أنبـــاء اشتباكات سواكن (٣) ٠

ولكن الاهتمام بأنباء الســـودان الشرقى لم يؤثر على نشر تفاصيل تحركات الحملة وما تلى ذلك من اشتباكات سبقت معركة فركة ٠

واذا كانت جميع الصـــحف المصرية حققت تغطية صحفية لتحركات الجيش فى البداية ، الا أن جريدة « المقطم » ما لبثت أن تفوقت صحفيا فى هذا المجال ، سواء بالأنباء التى كانت تتلقاها من الوكالة البريطانية فى القاهرة أو بالتفاصـــيل التى كان يرسلها مكاتبها المرافق للحملة ٠

ويبدو بوضوح مدى اهتمام جريدة « المؤيد » فى البـــداية

---

(١) جريدة « المؤيد » ـ أول أبريل ١٨٩٦ ٠

(٢) جريدة « الاتحاد المصرى » ـ ٢ أبريل ١٨٩٦ ٠

(٣) جريدة « المقطم » ـ ٢ مايو ١٨٩٦ ٠

بتفاصيل أنباء الحملة وحشد القوات وتقدمها ونشاط قلم المخابرات الحربية والمترجمين وهي نقاط وردت في معظم المراجع التاريخية التي عرضت لحملات السودان (١) وكانت أنباء جريدة « المؤيد » حولها غاية في الدقة ، حيث نشرت أنباء ارسال المهمات والذخائر وتحركات الأورطة الثانية وجميع أورطة السواري الى الحدود وكذلك انضمام عدد من ضباط مجالس القرعة والحرس الخديو واستدعاء المسرحين (٢) ومعظمها ورد بعد ذلك في المصادر التاريخية (٣) . وظلت « المؤيد » تسلك أحيانا خطا يهون من قوة الدراويش في مواجهة الحملة ، وأحيانا يبالغ في أهمية ما يحققه الدراويش بتحركاتهم — رغم ما في ذلك من تعارض ، بينما تميزت « مصر » و « الأهرام » بأسلوب أكثر هدوءا وأقل اثارة ، وتصدت « المقطم » لشن هجمات صحفية ضد « المؤيد » وما ينشره من رسائل لمراسله المرافق للحملة .

وكانت جريدة « المؤيد » قد أبرزت خلو عكاشة من الدراويش ووصول قوات الحملة اليها دون قتال ، واستمرت في التهوين من قوة الدراويش لتقلل بالتالي من قيمة أي انتصارات للحملة ، ثم نجدها تعود فتبرز خبر مهاجمة الدراويش لخط المواصلات بين سرس وعكاشة وقطع الخط البرقي مع المبالغة في قوة الدراويش (٤) ، وتتصدى جريدة « المقطم » لكل ذلك على لسان مراسلها المرافق للحملة والذي عمد في معظم الأحيان الى السخرية من زميله مراسل « المؤيد » ومن برقياته التي تنشرها جريدته ،

---

(١) مكي شبيكة — مرجع سابق — ص ٤٣٢ .
ومحمد فؤاد شكري — مرجع سابق — ص ٥٠٥ .
(٢) جريدة « المؤيد » — ١٨ ، ١٩ مارس ١٨٩٦ .
(٣) احمد شفيق باشا — مرجع سابق — ص ٢٨٢ .
(٤) « المؤيد » — ١٣ أبريل ١٨٩٦ .

وكانت هذه البرقيات تنشر تحت عنوان ثابت فى « المقطم » وهو « أخبار الحملة والسودان » .

وبالنسبة لاشتباك أول مايو ـ وهو يوم وصول السردار كتشنر الى عكاشة ـ والذى يعد أول اشتباك فعلى بين الدراويش وقوات الحملة (١) فقد أبرزت جريدة « المؤيد » أنباء هذا الاشتباك باعتباره مفاجأة لاقتها قوات الحملة فانسحبت متقهقرة ، وهو ما يتمشى مع ما جاء ذكره فى المراجع التاريخية التى وصفته بأنه اشتباك بين « دورية من الجيش مع قوة كبيرة من الأنصار جنوبى عكاشة واستطاعت بعد جهد أن تتخلص الدورية من الأنصار وترجع الى المعسكر » (٢) .

واذا كانت باقى الصحف اليومية المصرية قد تخلفت عن نشر اخبار هذا الاشتباك الذى ظهر على صفحات « المؤيد » و « المقطم » فان ذلك لم يمنعها من اعادة نشر ما سبق أن تخلفت عن نشره فى شكل موجز على صفحاتها الداخلية وقد أجمعت على أن هذا الاشتباك كان بمثابة هزيمة للدراويش ! .

وقبل وقوع معركة فركة كانت صحيفتا « الاتحاد المصرى » و « المقطم » تتابعان تفاصيل موقف الحملة وان انفردت صحيفة « المقطم » وحدها بالتنبؤ بوقوع المعركة فى الأسبوع الأول من يونية حيث قالت :

« انها ترجح زحف السردار بجيشه على فركة ويقاتل مقدمة الدراويش فيها » (٣) .

---

(١) محمد فؤاد شكرى ـ مرجع سابق ـ ص ٥٠٥ .

(٢) مكى شبيكة ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣٥ .

(٣) جريدة « المقطم » ـ ٢ يونية ١٨٩٦ .

وقال مراسلهم فى برقية له نشرها « المقطم » يوم ٢ يونية :

« انه ينتقل الى عكاشة . وأنه سيبعث بتفاصيل كل المواقع أو الحوادث العظيمة الشأن » (١) .

وان كانت جريدة « المقطم » بعد ذلك قد وصفت معركة فركة بأنها مفاجأة (٢) الا أنه من الواضح أن مراسلها كان متنبأ بالمعركة وأهميتها ونكاد نرجح أن هذا المراسل كان أكفأ المراسلين الصحفيين المصريين المرافقين للحملة ، وقد يرجع ذلك الى حسن العلاقة بينه وبين ضباط القيادة الانجليزية للحملة ، وللتعاون المستمر بين « المقطم » وسلطات الاحتلال البريطانى فى مصر ، كما لا يمكن اغفال كفاءته الصحفية وقدرته على الحركة والتصرف وهو ما عبر عنه فى برقيته التى تنبأ فيها بمعركة فركة ، وقال فيها :

« قد يتعذر على ارسال الرسائل التلغرافية من عكاشة فقد بلغنى أن خط التلغراف الممتد اليها مخصص للأشغال الحربية دون غيرها فاذا صح ذلك اضطررت أن أوجز رسائلى التلغرافية أو أن أرسل رسولا الى حلفا لارسال الأخبار التلغرافية منها » (٣) .

وقد كان تفوق مراسل صحيفة « المقطم » المرافق للحملة مثار قلق واضطراب الصحيفة المنافسة الأولى « للمقطم » وهى جريدة « المؤيد » التى نشرت تتحدى جريدة « المقطم » : « فى اعلان اسم مراسلها المرافق للحملة واتهمته بأنه فى الواقع أحد ضباط الحملة الذين يتقاضون مرتبا من نظارة الحربية (٤) .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) جريدة « المقطم » ـ ٢ يونية ١٨٩٦ .

(٣) جريدة « المقطم » ـ ٧ يونية ١٨٩٦ .

(٤) جريدة « المؤيد » ـ ١٣ اغسطس ١٨٩٦ .

وبدأت معركة فركة فجر اليوم السابع من يونيـــة ١٨٩٦ وانتهت فى السابعة صباحا بهزيمة الدراويش هزيمة ثقيلة (١) . الا أن أخبار انتصار الجيش وصلت الى القاهرة بعد طبع الصحف وتوزيعها فأصدرت جريدة « المقطم » ملحقا لعددها ٢١٨٩ تضمن خبر الانتصار جاء فيه :

« نصر من الله وفتح مبين ـ حلفا الأحد الساعة ٣ بعد الظهر ـ هاجم سعادة السردار فركة بغتة بجنودنا المظفرة وكان فيهـا قوة عظيمة من الدراويش بين ثلاثة آلاف وأربعة فأثخن منهم وفرق شملهم تمزيقا وولى من بقى حيا منهم الأدبار وفتحت جنودنا المظفرة خيولهم ومهماتهم وانطلق السوارى فى أثر الفارين . ويؤمل أن يكون الفوز العظيم الضربة القاضية على العدو فى مديرية دنقلة وستصير فركة نقطة جيشنا الأمامية الآن » (٢) .

ومن الملاحظ أن هذه البرقية الموجزة التى نشرها « المقطم » فى ملحق خاص لم تتضمن معلومات تتناسب وعدد كلماتها أو مع المناسبة التى استوجبت ملحقا خاصـــا ، والذى اذا اعتبرناه عملا صحفيا بارزا فهو بالطبع لا يتمشى وما يجب أن يكون عليه الخبر الصحفى بمقاييس الصحافة الحديثة (٣) ، غير أنه بمقـارنة الرقم الوحيد الذى تضمنته البرقية وهو عدد الدراويش الذين هاجمهم

---

(١) محمد فؤاد شكرى ـ مرجع سابق ـ ص ٥٠٥ .
وكذلك مكى شبيكة ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

(٢) Kirchrer, Allen and Linda : Journalism, N. Y. (1974) p. 235,
Fontaine, A. : The Art of writing Nonfication, N. Y. (1974) pp. 150, 151.

(٣) جريدة « المقطم » ـ ملحق بالعدد ٢١٨٩ ـ ٧ يونية ١٨٩٦ .
وايضا : Young, G. : Op. Cit., p. 193.
وايضا : Cromer : Modern Egypt, vol. II, p. 581.

الجيش فى فركة بالرقم الذى أجمعت عليه المراجع التاريخية ، لا نجد مبالغة فى التقدير حيث قدرتهم برقية « المقطم » التى تضمنها الملحق بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف ، الا أن المؤرخين ذكروا بعد ذلك أن الجيش هاجم فركة بنحو العشرة آلاف وكان الأنصار لا يزيدون على الثلاثة آلاف (١) .

واذا كانت جريدة « الاتحـــاد المصرى » قد تأخرت فى نشر الخبر عن جريدة « مصر » حيث ان « الاتحاد المصرى » لم تكن تصدر كل يوم ـ رغم كونها جريدة يومية ـ (٢) فاننا نجدها وقد نشرت أخبار المعركة فى صفحتها الأولى مع تفاصيل عديدة (٣) سـبقتها اليها جريدتا « المقطم » و « مصر » على مدى ثلاثة أيام (٤) .

وتناولت جريدة « الاتحاد المصرى » قصة المعركة فى عددين متتاليين فى صفحتها الأولى وبدأتها بخبر كبير تحت عنوان « معركة فركة » (٥) ، ثم استكملت قصة المعركة فى عددها التـــالى تحت عنوان « حملة السودان » (٦) .

وما من شـــك فى أن جريدة « المقطم » كانت أبرز صحيفة مصرية عرضت لتفاصيل المعركة وتابعتها مستكملة قصة هذا الحدث ونتائجه وهذا (الاستكمال والمتابعة) ـ يعـد بمقاييس الصـحافة

---

(١) مكي شبيكة ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

(٢) جريدة « الاتحاد المصرى » كانت تصدر ثلاثة أيام اسبوعيا بترخيص جريدة يومية .

(٣) جريدة « الاتحاد المصرى » ـ ١١ يونية ١٨٩٦ ـ ص ١ .

(٤) جريدتي « مصر » و « المقطم » ـ ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ يونية ١٨٩٦ .

(٥) جريدة « الاتحاد المصرى » ـ ١١ يونية ١٨٩٦ ـ ص ١ .

(٦) جريدة « الاتحاد المصرى » ـ ١٤ يونية ١٨٩٦ ـ ص ١ .

الحديثة عمـــــلا صحفيا متكاملا (١) وقد بدأت « المقطم » سلسلة موضوعاتها الصحفية حول المعركة فى اليوم التالى (٢) واستمرت فى سرد التفاصيل على مدى عشرة أيام كما حرصت على نشر رسائل يومية عن الحملة لمدة ٤٠ يوما متتالية ٠

واقتصرت جريدة « مصر » على نشر أخبار قصيرة على صفحتها الثالثة خلال أيام ٨ ، ٩ ، ١٠ يونية ١٨٩٦ ضمنتها أنباء ســـير القتال فى فركة منـــذ أن تجمعت الجيوش فى عكاشة وتقدمها الى فركة ٠

ولأول مرة ظهر الحديث الصحفى حول معارك الحملة على صفحات جريدة « مصر » وان كان صاحب تلك المبادأة المراسل البريطانى لوكالة رويتر للأنباء والتى انفردت « مصر » بنشر حديث كيتشنر اليه فى نفس الوقت مع الصحف البريطانية وقد ذكرت أن ذلك « تلغرافات خصوصية واردة بواسطة شركة رويتر ٠

وعادت جريدة « مصر » الى نشر برقيات رويتر التى استكملت أنباء القتال وتقـــدم البكباشى مردخ الى سوارده وفرار عثمـــان الأزرق (٣) ٠

وبملاحظة التفاصيل التى نشرتها الصـــحف المصرية حول المعركة ، نجد أنها تضمنت وقائع لم تشر اليها المراجع العربية التى

---

(١) Basketts, F. and Sisoars, J. : The Art of Editing, N.Y. (1971) pp. 64, 65, 67;

وكذلك : Fontains, A. : Op. Cit., p. 151.

وأيضا : جلال الدين الحمامصى ـ الصحافة المثالية (القاهرة ١٩٧٢) ص ١٣٢ ومجموعة محاضرات كلية الاعلام سنة ١٩٧١ ٠

(٢) جريدة « المقطم » من ٨ الى ١٨ يونية ١٨٩٦ ٠

(٣) جريدة « مصر » ـ ١٠ يونية ١٨٩٦ ـ ص ٣ ٠

عالجت حملات السودان بعد ذلك (١) وان كان بعضها قد ورد موجزا في بعض المصادر التاريخية التى صدرت عن غير العربية (٢) ، الا أن أكثر الصحف المصرية عرضا للتفاصيل كانت صحيفة « المقطم » التى والت الحديث عن المعركة وما تلاها ونشرت مجموعة من الأخبار تضمنت تحديدا للأماكن وتحديدا للأرقام مع الحرص على تصحيح ما سبق نشره من معلومات ثبت عدم دقتها دون الاشارة الى عملية التصحيح نفسها ·

ففى اليوم التالى للمعركة ذكرت « المقطم » أن الجيش استطاع عدد الأسرى بستمائة أسير من الدراويش ، وخمسمائة جريح ونحو الثمانمائة قتيل من بينهم قائدهم حمودة (٣) الذى كانت «المقطم» أسر ٤٥٠ أسيرا بينما حددت المراجع التى تعرضت لتفاصيل المعركة أول من ذكرت اسمه بين القتلى (٤) ، كما أن « المقطم » وباقى الصحف الصادرة في أعقاب المعركة لم تحدد خسائر الجيش وعدد قتلاه بينما ذكرت المصادر التاريخية أن الجيش المصرى قد خسر فى هذه المعركة ٢٠ قتيلا (٥) ، وان كانت جريدة « المقطم » قد أشارت الى اصابة أحد الضباط الانجليز وهو البكباشى ليج جرحا خفيفا بالسيف دون أن تتعرض لأعداد القتلى والجرحى (٦) ، وأشارت « المقطم » ضمن وصفها لمعركة فركة الى مقتل الأمير عثمان

---

(١) محمد فؤاد شكرى ــ مرجع سابق ــ ص ٥٠٥ ·

ومكى شبيكة ــ مرجع سابق ــ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ ·

(٢) Cromer : Modern Egypt, vol. II, p. 581.

وكذلك : Young, G. Op. Cit., p. 139.

(٣) مكى شبيكة ــ مرجع سابق ص ٤٣٦ ·

(٤) جريدة « المقطم » ــ ٨ يونية ١٨٩٦ ·

(٥) Young, G. : Op. Cit., p. 139.

(٦) جريدة « المقطم » ــ ٨ يونية ١٨٩٦ ·

الأزرق (١) ، غير أنها عادت فى اليوم التالى وألمحت الى كونه مازال حيا (٢) ، كما أكدت جريدة « مصر » الى هروبه عقب المعركة (٣) ٠

وعادت جريدة « المقطم » بعد ذلك الى نشر قصة هروب عثمان الأزرق كما رجحتها قائلة :

« ثبت الآن أن عثمان الأزرق نجا بعبور النيل عند فركة سباحة والمرجح أنه لما بلغ الضفة الغربية التقى بدورية من الدراويش طردها عرب الكبابشة الموالون للحكومة فركب فى الحال وجد المسير الى سوارده حيث أبلغ من فيها بالخبر وجمع ٢٠٠ رجل وعبر بهم النيل مرة أخرى وفر بمن بقى منهم سالما من قنابل المدافع التى أطلقها مردخ بك والمظنون أنه أخذ معه معظم ما كان فى بيت المال من الكنوز والأموال وتبين بعد الموقعة أن ادارة المخابرات كانت عالمة بجميع حركات الدراويش وسكناتهم فى كل نقطة من نقطهم الأمامية ومكان كل أمير من أمرائهم وكيفية تقسيمهم تماما » (٤) ٠

واذا كانت المراجع التاريخية لم تشر الى قصة فرار الأمير عثمان الأزرق حتى يمكن مقارنتها بهذه القصة ، فان هذه المراجع قد أكدت نجاح قلم المخابرات التابع للجيش فى القيام بدوره حيث نشط ونجح ومعاونوه ومترجموه فى استجواب المسافرين والتجار وفى ايفاد الجواسيس (٥) ٠

وقد تجنبت الصحف المصرية وخاصة جريدة « المقطم » التى تناولت سرد كل التفاصيل ذكر موقف الدراويش عند بدء المعركة

---

(١) جريدة « المقطم » — ٩ يونية ١٨٩٦ ٠

(٢) جريدة « المقطم » — ١٠ يونية ١٨٩٦ ٠

(٣) جريدة « مصر » — ١٠ يونية ١٨٩٦ ٠

(٤) جريدة « المقطم » — ١١ يونية ١٨٩٦ ٠

(٥) مكى شبيكة — مرجع سابق — ص ٤٣٢ ٠

حيث فوجئوا باطلاق الرصاصة الأولى عليهم وهم يؤدون صلاة الفجر (١) ، واكتفت « المقطم » بأن ذكرت أن أول رصاصة أطلقت على الدراويش فى الخامسة والنصف وهم غافلون (٢) ، وربما كان ذلك تجنبا لاثارة العطف عليهم .

ويهمنا هنا أن نذكر أن حرص قادة الحملة الانجليزية على شجاعة الأنصار فى معركة فركة واشادة الصحف بتلك الشجاعة ليس مرجعه بالطبع الى الرغبة فى اظهارهم أبطالا ، خاصة أن جريدة « المقطم » حرصت على الاشادة بشجاعتهم فى تلك المعركة فى أكثر من عدد من أعدادها . ويمكننا أن نرجح أن سبب ذلك كان يرجع الى الرغبة فى ابراز أهمية النصر واستبعاد كونه نصرا رخيصا على قوات قليلة ضعيفة ، خاصة أن جريدة « المؤيد » كانت قد حرصت فى أكثر من عدد من أعدادها ـ والسابق الاشارة اليها ـ على التهوين من قوة الأنصار ، كما أن الحقائق التاريخية المجردة قد أكدت قوة الجيش وتفوقه الساحق على الأنصار عددا وعدة (٣) . ولم تشر الصحف الى أن الأنصار « لا يزيدون عن الثلاثة آلاف والجيش يبلغ العشرة آلاف » (٥) ، بينما كان السردار كتشنر يعانى من القلق قبل المعركة وأنه شعر فى أعقابها بالراحة لانتصاره فى أول لقاء مع الدراويش » وتنفس كتشنر الصعداء وكذلك معاونوه حيث جازوا الامتحان وكسب الجيش الجديد أولى معاركه » (٥) .

وخلال الفترة التى تلت معركة (٧ يونية ١٨٩٦) وحتى نشوب معركة الحفير فى سبتمبر من نفس العام ، نجد أن معظم

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٤٣٥ .

(٢) جريدة « المقطم » ـ ٨ يونيو ١٨٩٦ .

(٣) Young, G. : Op. Cit., p. 139.

(٤) مكى شبيكة ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣٥ .

(٥) المرجع السابق ـ ص ٤٣٦ .

الصحف المصرية قد قل اهتمامها بأنباء الحملة حيث مضى مايقرب من ثلاثة شهور دون وقوع معارك جديدة ، غير أن اهتمامها كان منصبا فى هذه الفترة على موضوع الوباء الذى انتشر بين جنود الحملة وقد لا ينطبق هذا على جريدة « المقطم » لأن النظرة السريعة على أعدادها في تلك الفترة تكشف بوضوح عن اهتمامها المبالغ فيه بتتبع أنباء الحملة وتقدمها وأخبار الامدادات والذخيرة والمؤن ومد الخطوط الحديدية (١) . ويمكن القول ان ما نشرته جريدة « المقطم » خلال تلك الفترة وحدها يعادل ما نشرته باقي الصحف المصرية مجتمعة . ومع تقدير الأسباب السياسية المتعلقة باتجاهات هذه الجريدة وأهدافها فان تتبع أنباء الحملة وتغطيتها هو فى حد ذاته عمل صحفى يتمشى ومبادىء تتبع الأنباء دون انتظار وصولها (٢) وما يمكن أن يطلق عليه المبادأة الصحفية ، فضلا عن أن « المقطم » قد بدأت منذ تلك الفترة فى نشر خرائط ورسوم تكمل بها الخدمة الصحيفة لتغطية أنباء السودان (٣) .

وقد شهدت هذه الفترة عودة الحديث والجدل حول موضوع الحملة وتمويلها وقرار ارسالها وتوقيته وما لذلك من آثار على صحة الجنود ومعاناتهم من قسوة صيف السودان ، وما ترتب على سوء الطقس من انتشار الوباء ، وكان ذلك ميدانا لمعارك صحفية حول قضية التمويل ومدى انتشار الوباء الذى كشفت أسراره جريدة (المؤيد) ، فيما عرف بقضية التلغرافات .

وتبدأ قضية التلغرافات ببداية ما تعرضنا له من قبل عن

---

(١) أعداد جريدة « المقطم » ـ من ١١ يونية حتى ١٥ سبتمبر ١٨٩٦ .

(٢) Kirschner Op. Cit., p. 157.

(٣) جلال الدين الحمامصى ـ مرجع سابق ـ ص ١٥١ .

وجريدة « المقطم » ـ ٢٤ يولية ١٨٩٦ .

تفوق جريدة « المقطم » على سائر الصحف الأخرى فى تقديمها التفاصيل الدقيقة للمعارك وقيامها بالتغطية الصحفية الكاملة لأخبار الحملة وأنباء تحركاتها • وقد كان لذلك أهميته السياسية والصحفية على السواء نظرا لاهتمام الرأى العام فى مصر اهتماما بالغا بأنباء الحملة وأخبارها (١) ، مما جعل السلطات البريطانية فى مصر حريصة على تحقيق الرواج والانتشار والنجاح للصحيفة المصرية الأولى الموالية لها وهى « المقطم » ، غير أن « المقطم » بكل ما كان يعرضه من تفاصيل وكل ما ينفرد بنشره من أنباء ، لم يكن فى الحقيقة يقدم كل ما لديه أو كل ما يتوافر من معلومات وأخبار ، فقد كان يحرص على أن يحجب ما تعتبره السلطات البريطانية من أسرار الحملة وألا ينشر ما قد يسىء الى الاحتلال ورجاله • وأدى ذلك الى استمرار تعاون الدوائر الاستعمارية فى مصر مع هذه الجريدة وتزويدها بكل ما يمكن أن ينشر من أخبار الحملة التى تهافت الشعب المصرى على متابعتها بكل شغف (٢) مع حرمان باقى الصحف وبصفة خاصة جريدة « المؤيد » من هذه الأنباء حتى يتجرد الشيخ على يوسف من كل سلاح قد يشهره أو يستعين به فى حملته على الاحتلال البريطانى (٣) •

وفى اطار هذه الخطة أصدرت نظارة الحربية فى مايو ١٨٩٦ أمرا مباشرا بحرمان « المؤيد » من أنباء الحملة على دنقلة (٤) بل وانصب هذا الأمر على المصالح الحكومية جميعها وسائر الأخبار الرسمية (٥) •

---

(١) احمد شفيق باشا ــ مرجع سابق ــ ص ٢٢٧ •
(٢) ابراهيم عبده ــ أعلام الصحافة فى مصر ــ ص ١٥٩/١٥٨ •
(٣) ابراهيم عبده ــ تطور الصحافة المصرية ــ ص ١٨٠ •
(٤) عبد اللطيف حمزة ــ أدب المقالة الصحفية فى مصر ــ ج ٤ ــ ص ١٠٦ •
(٥) محمد أمين عبده ــ قضية التلغرافات ــ مجلة الشباب ــ ٢٤ فبراير ١٩٣٦ ــ ص ٤٤ •

غير أن الشيخ على يوسف لم يكن ليقف مكتوف الأيدى ازاء هذا الموقف الذى يعرض صحيفته للخطر ويهدد رسالته الصحفية ، فحرص على أن يتنسم الأخبار ويستقيها من شتى مصادرها وقد وجد التشجيع والعطف من الخديو عباس نفسه (١) هذا بالاضافة الى ما لجأ اليه من تحايل للوصول الى أنباء الحملة وخاصة تلك الأنباء التى حرصت سلطات الاحتلال على عدم اذاعتهـــا وابقائها فى طى الكتمان (٢) .

وبدأ « المؤيد » فى نشر ما يصل اليه من أسرار الحملة حتى أنه نشر نص المنشـــور الذى وزعه السردار على الدراويش فى السودان يدعوهم الى الهدوء والسكينة وحرص على ألا يتسرب هذا المنشور الى غير السودانيين حتى لايفسر على اعتباره محاولة استرضاء للدراويش ، كما عهد « المؤيد » الى نشر كشوف بأسماء وعنـــاوين القتلى من رجال الحملة مما تعتبره نظارة الحربية من الأسرار ، ويعد نشره عملا عدائيا موجها ضد السلطات البريطانية غير أن قانون العقوبات لم يسعف هذه السلطات بنصـــوص تدين الشيخ على يوسف (٣) .

وخلال صيف ١٨٩٦ واجهت حملة دنقلة الكثير من المشكلات والمصاعب الادارية والصحية (٤) ، وهذا ما كان ينقله السردار الى كرومر والى نظارة الحربية فى تقاريره وبرقياته السرية التى وصل بعضها الى الشيخ على يوسف فلم يتردد فى نشرها على صفحات « المؤيد » (٥) ، وكانت أبرزها البرقية التى أرسلها السردار الى

---

(١) Cromer : Abbas II, p. 44.

(٢) عبد اللطيف حمزة ـ أدب المقالة الصحفية ـ جـ ٤ ـ ص ١٠٦ .

(٣) محمد أمين عبده ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٤ .

(٤) مكى شبيكة ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣٦ .

(٥) احمد شفيق باشا ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣١ .

ناظر الحربية يوم ٢٦ يولية ١٨٩٦ والتى نشرها « المؤيد » فى عدد ٢٨ يولية والتى يعتذر فيها السردار عن تأخره فى مخاطبة الناظر لأن الكوليرا التى تفشت فى الجيش كانت شغله الشاغل ، والتى ذكر فيها عدد الاصابات وعدد الوفيات ونعى اليه بعض ضباط الجيش وتحدث عن تأخر السكة الحديد لسوء حال الوابورات التى تنقلها والتى مضى عليها أكثر من احدى عشرة سنة وان انخفاض النيل عاق سير السفن فى الشلالات .

وهذا هو نص التلغراف الذى نشره « المؤيد » تحت عنوان « أحوال الجيش المصرى فى الحدود » :

« تفيد التلغرافات الأخيرة الواردة من كوشة أمس على نظارة الحربية التفصيلات الآتية عن حالة الجيش المصرى فى الحدود وقد أظهر سعادة السردار أسفه من أنه لم يتمكن منذ أيام من ارسال التفصيلات لأنه كان شديد القلق من الكوليرا التى انتشرت هناك فى كل نقطة ومركز من مراكز خط المواصلات وفى المعسكرات ثم قال : وقد حصل فى أسوان بين عساكر الحضرة الخديوية الفخيمة ٢٩ اصابة توفى منها ١٥ شخصا أما فى كروسكو فقد حصلت ٢٢ اصابة توفى منها ١٣ وفاة فى حلفا و ١٥٦ اصابة توفى منها ٩٨ وفاة وست وفيات فى الجيش البريطانى و ١٨ فى حجاى وفى سرس ٩ اصابات و ١١ وفاة وفى مكهرة اصابة واحدة ووفاة وفى سمنة اصابة واحدة ووفاة أيضا وفى أمبيجول على شاطىء النهر خمس اصابات وأربع وفيات وفى آبار أمبيجبول ١٠ اصابات وخمس وفيات وفى عكاشة اصابتان ووفاتان وفى كوشة ٨٦ اصابة و ٥٧ وفاة وفى أطاب اصابة وفاة وفى عمارة ثلاث وفيات وثلاث اصابات ولم تحصل اصابات فى الجيش بسواردة وأمل سعادة السردار أن الاحتياطات التى اتخذت تدفع عنه غائلة الوباء ولكن هذا الداء شديد الوطأة جدا بين اللاجئين الى سواردة من الأهالى والآتين اليها من الجنوب بقصد الاحتماء وقد توفى منهم عدد كثير .

« ولقـد كان سـلوك العسـاكر سـلوكا محمـودا ممدوحا والاحتياطات التى اتخذت قد ظهرت نتائجها وثمراتها والمأمول أن تخف وطأة الوباء شيئا فشيئا ، ثم قال سعادته ومع نفس الأربع وعشرين ساعة الماضية لم تحصل الا اصابة واحدة ولكن فى مبتدأ الخط الحديدى من جهـة فركة توجد جمـلة اصابات فى الأورطة السابعة وفى الأورطة سكة الحديد ·· واننا نأسف أن ننعى لكم الماجور (أوين) الذى توفى بالقرب من آبار أمبيجول وهو ثانى ضابط بريطـانى يتوفى بالجيش المصرى والبكباشى فنـك شقيق فنك باشا والبكباشى تراسك وقد كانا الى صباح أمس الأحد فى صحة تامة وقائمين بواجباتهم كما ينبغى ولكن فى الساعة الرابعة بعد الظهر فتك بهما الوباء فمات الرجلان القويان وأن الوباء لشديد جدا وقد تأخر وصول السكة الحديد الى هنـا بالنظر لسوء حالة الوابورات القديمة الذى استوجب تأخير وصـول الأدوات اللازمة الكافية لاستمرار العمل بدون انقطـاع والا فكان يجب أن يصل القطار الى هنا منذ زمن طويل » (١) ·

وهاج ناظر الحربية لنشر هذا التلغراف السرى وهاجت معـه السلطات الانجليزية فى نظارة الحربية (٢) ·

وحرص صاحب « المؤيد » على أن يكرر نفس المعنى والمعلومات على مدى عدة أيام :

« ··· ان الحاجة حقيقية وشديدة وقد يمكن أن الجنود لليوم لم يزالوا فى حالة ضنك شديد مادامت المؤن التى على البواخر لم تصل اليهم لهذا التاريخ · وجاء منشور سعادة سردار الجيش مؤكدا ذلك بقـوله بأن ما يغنموه يسـلم الى التعيينات وهى تصرف

---

(١) جريدة « المؤيد » ـ ٢٨ يولية ١٨٩٦ ·

(٢) محمد أمين عبده ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤ ·

للعساكر كلما تيسر ذلك توفيرا لمؤنة الحكومة . فمنه يستنتج أن الجيش فى عوز لما يغنمه من العدو ولكن ما هى الغنائم ياترى أتتجاوز الحبوب من ذرة ودخن وشعير وما شاكل من زاد الدراويش كلا وهل يكون هذا مع ندرته مأكول جنودنا البائسة المحفوفة بأصناف المكاره والشدائد والتعب والغلب أن الأمر لله وهو عونهم ونصيرهم وهو على كل شيء قدير » (١) .

وفى رأينا أن جريدة « المؤيد » قد سلكت مسلكا صحفيا سليما وانتهجت الأسلوب العلمى فى المتابعة الصحفية ليتحول موقفها الى حملة صحفية . وكما هاجمت سلطات الاحتلال مستخدمة ما تحت يدها من معلومات وأسرار ، فقد حرصت على أن تشهر ذلك أيضا فى وجه جريدة « المقطم » ، وأن تسجل ما أكدته الأيام من صحة المعلومات التى نشرتها عن سوء حال جنود الحملة وحرصت الجريدة فى نفس الوقت على عدم المساس بكرامة وشجاعة الجندى المصرى لتتجنب ردود الفعل وتحتفظ بتعاطف القراء معها ملقية كل التبعات على عاتق القيادة البريطانية وأصحاب قرار ارسال الحملة فذكرت :

« .... كتبنا جملة فصول عما يقاسيه جيشنا المصرى المسوق برغبة الانكليز ولفائدتهم الى ميدان الحرب فى صحراء السودان المحرقة من العناء والبؤس لا بسبب الضرب والطعان الذى فيه الجيش الشجاع فى الميدان على أنه صاحب ذلك الفخار المشهور من قديم الزمان ولكن من هجمات الحر والوباء واللذين صارا أشد وطأة عليه من الزؤام وفضلا عن ذلك فان صعوبة النقل جعلته يحتاج للزاد والمؤونة وهو الشيء الذى اذا ذكره المصريون ازدادت مرارتهم على اخوانهم وفلذات أكبادهم ولكن بينما كنا نذكر هذه المحزنات ونتألم منها ونلوم القواد الانكليز على هذه المخاطرة المريعة

---

(١) جريدة « المؤيد » ـ ٤ أغسطس ١٨٩٦ .

كانت الجرائد المأجورة تطعن علينا وتتهمنا بالغلو والمبالغة والتحامل على أولئك القواد ونحن لم نعجب من وجود الفرق العظيم والبعد الشاسع بين شعورنا وشعور أولئك المأجورين حيث لا ينتظر منهم أن يألموا كما نألم وويل للشجى من الخلى وانما يسرنا الآن أن جريدة المقطم قد رجعت فكتبت فقرة فى محلياتها أمس تقول فيها ما نصه (يشق علينا أن نسمع أخبار ما يقاسيه جنودنا المظفرة من المشاق فى مغاور السودان) » (١) ٠

وتحت عنوان « حالة الجيش المصرى فى السودان » تستطرد جريدة « المؤيد » قائلة :

« ٠٠٠٠ فليت شعرى هل كان لنا حاجة لأن يؤدى الجيش الخدمة فى أصعب الأحوال على غير الاضطرار وهل كانت ضرورة ما لركوب هذا المركب الخشن وسوق الجيش الى الصحراء لايستنشقون فيها الهواء الا حاميا كأنه يهب من الأتون ولا يشربون الماء الا سخنا يكاد يحرق الأفواه ولا يأكلون طعاما الا غليظا جافيا متبلا بالتراب والغبار ومع ذلك لا تنفق عليهم الحكومة الكفاف من العيش فى مثل هذه المعيشة النكداء فلم تنصفهم على الاطلاق وهى مع ذلك تحملهم من ضروب العناء ما لا يطاق ٠ وهل قال المؤيد فى جميع ما ذكره الا أن الوقت لم يكن مناسبا لسوق الجنود الى صحراء السودان وان حالة المالية المصرية لا تساعد على مثل هذه الحروب الهجومية حيث لم ترغمنا عليها الا المصلحة الانكليزية لا شك أن الحكومتين البريطانية والمصرية قد جنتا أعظم جناية على جيشنا البئيس الذى يقاسى الآن العذاب ألوانا الأولى لتقريرهما الحملة السودانية فى فصل غير مناسب وعلى غير استعداد والثانية لمتابعتهما

---

(١) جريدة « المؤيد » ـ ٨ أغسطس ١٨٩٦ ٠

وجريدة « المقطم » ـ ٧ أغسطس ١٨٩٦ ٠

لها فى هذا الأمر بلا حساب عاقبة . والله يصلح المغبة ويحسن المآل » (١) .

ولم يكن فى استطاعة السلطات البريطانية وجريدة « المقطم » الاستمرار فى الجدل والمناقشة مع « المؤيد » حول سوء حال الحملة وجنودها فجعلوا معركتهم ضد هذه الجريدة « تتحول الى معركة حول الأخلاقيات الصحفية وحول عدم مشروعية نشر التلغرافات السرية ، كما حرصت الحكومة على تحريك الدعوى الجنائية ضد صاحب « المؤيد » .

وقد أكدت نظارة الحربية ـ بصورة غير مباشرة صحة المعلومات التى ساقها « المؤيد » عندما اعترفت بأن ما نشر كان برقية مرسلة من السردار الى ناظر الحربية فى مصر ، وهذا ما اعتمدت عليه فى تحريك الدعوى ضد صاحب « المؤيد » وهو أيضا ما حرصت « المقطم » على نشره ومتابعته حتى أنها انفردت دون سائر الصحف المصرية بنشر كل التفاصيل على النحو التالى :

« علمنا من تفاصيل هذه المحادثة التى نسمع عنها كل يوم نبأ جديدا أن مكتب تلغراف الأزبكية اكتشفها على هذه « الصورة » أرسل سعادة ناظر الحربية موظفا فى نظارته الى مكتب تلغراف الأزبكية يقول ان سعادة السردار أرسل اليه تلغرافا طويلا استلمه بيده ثم أبقاه فى منزله ولم يطلع عليه أحد غيره فى ذلك اليوم . ثم صدر المؤيد وفيه ترجمة التلغراف ... واتفق أن شخصا آخر مستقلا عن الحكومة ولا علاقة له بها قابل حضرة مدير مكتب التلغراف أيضا وشكا اليه أن تلغرافا جاءه فرآه منشورا فى المؤيد كلمة فكلمة بين تلغرافاته الخصوصية وقد ادعى أن مكاتبه أرسله اليه فلما سمع مدير التلغراف كلامه راجع صور التلغرافات التى

---

(١) جريدة « المؤيد » ٨ اغسطس ١٨٩٦ .

وردت فى ذلك اليوم فوجد أن التلغراف الذى نشر فى المؤيد لم يرد عليه من أحد وانما ورد على الشاكى فأيقن حينئذ أن التلغرافين المذكورين سرقا من مكتبه » (١) .

وبعد أسبوع تابع المقطم نشر تطورات القضية :

« عزمت النيابة على المجىء الى مكتب تلغراف الأزبكية لتحقق قضية التلغرافات المسروقة التى نشرها المؤيد واتصل بنا أن مجلس ادارة سكة الحديد والتلغراف طلب محاكمة السارق وشريكه والحكم على الفريقين بحسب مقتضى المادة ١٤٥ من قانون الجنايات وهـــذا نصها : (كل من أخفى من موظفى الحكومة أو البوستة أو مأموريتها أو فتح مكتوبا من المكاتيب المسلمة للبوستة أو سهل ذلك لغيره يعاقب بالحبس من ثلاثة أشهر الى ثلاث سنين وكذلك كل من أخفى من موظفى الحكومة أو مصلحة التلغرافات أو مأموريتهما تلغرافا من التلغرافات المسلمة الى المصلحة المذكورة وأفشاه أو سهل ذلك لغيره يعاقب بالعقوبتين المذكورتين ويحكم أيضا بهاتين العقوبتين على من اشترك مع هؤلاء الموظفين أو المأمورين من آحـاد الناس فى اخفاء المكاتيب أو فتحها أو اخفاء التلغرافات أو افشائها) . » (٢) .

وتحت عنوان « سرقة التلغرافات » عاود « المقطم » نشر أنباء القضية وقد حرص على ابقائها حية مثارة وقال تحت هذا العنوان :

« اتصل بنا أن سعادة ناظر الحربية أرسل الى النيابة العمومية جوابا فصل فيه كل ما يعلمه عن تلغراف السردار الذى سرق من مكتب تلغراف الأزبكية ونشر فى المؤيد وأثبت بأجلى بيان ان ذلك التلغراف لم يخرج من منزله ولم يره أحد غيره قبلما نشر فى المؤيد فاستنتج من ذلك ما يستنتجه كل انسان وهو أن صورة التلغراف

---

(١) جريدة « المقطم » - ١٣ اغسطس ١٨٩٦ .

(٢) جريدة « المقطم » - ٢٨ اغسطس ١٨٩٦ .

سرقت من مكتب التلغراف نفسه ونشرت فى المؤيد فأرسل الى مكتب التلغراف يشكو من ذلك وينبهه اليه » (١) ٠

وبينما حرصت جريدة « المؤيد » على نفى التهم الموجهة اليها (٢) ، نشرت « المقطم » اتهاما جديدا اتهمت فيه موظف مكتب التلغراف توفيق كيرلس أفندى ، والشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » بسرقة برقية مرسلة من مكاتب « المقطم » فى ببا ، ونشرها على صفحات « المؤيد » (٣) ٠

وظلت المعركة الصحفية بين الجريدتين مستمرة حول هذه القضية ، وحرص « المؤيد » خلال هذه المعركة على تأكيد اصراره وعزمه على مواصلة تقصى أنباء حملة دنقلة ونشرها ، ولكنه أيضا استمر فى انكار تهمة سرقة التلغرافات مؤكدا براءة موظف مكتب الأزبكية :

« ٠٠٠٠ يظهر أن المقطم قد أصيب بدوار شديد من الحمى فصار يهذى أشد الهذيان فيما يكتبه عما يسميه سرقة التلغرافات ويدعو مصلحة التلغرافات أو السكة الحديد لطلب محاكمة المؤيد الذى نشر منشور السردار أو تلغرافه عن أحوال الجيش مما لم يعلم به أحد سواه كأن جلب الأخبار التى تبالغ نظارة الحربية فى كتمانها لافادة الأمة المصرية بمجريات الأحوال التى يهمها الاطلاع عليها يعد من قبيل سرقة النقود بوسائل النصب والاحتيال حتى تطلب محاكمة صاحب المؤيد كما تطلب محاكمة النصابين ٠

وسيرى أصحاب المقطم وشعبيتهم فى نظارة الحربية أن المؤيد مقتف آثار الحملة وأخبارها ليفيد الأمة بكل ما يهمها من خفايا

---

(١) جريدة « المقطم » ــ ١٣ أكتوبر ١٨٩٦ ٠

(٢) جريدة « المؤيد » ــ ١٢ اغسطس ١٨٩٦ ٠

(٣) جريدة « المقطم » ــ ١٥ أكتوبر ١٨٩٦ ٠

الأمور وخبيثات الأعمال خدمة للوطن العزيز ولو حاكموا كل موظف في الحربية ومصلحة التلغرافات وليقل المقطم ما يقوله صياحا وولولة وعويلا ... » (١) .

وكانت جريدة « المقطم » تحرص على أن تكرر نشر عبارات تدين بها سرقة التلغرافات وتقبحها :

« .... ان لهذه السرقات وأمثالها منزلة أقبح من منزلة سرقات اللصوص » (٢) .

وقد رد « المؤيد » على هذه العبارة فى اليوم التالى وساق تلميحات حول تقاضى «المقطم» أموالا من السلطات البريطانية (٣) .

وجاء بالمؤيد :

« قال « المقطم » فى عدد يوم الثلاثاء الماضى ان هذه السرقات وأمثالها (ويعنى بذلك توصل الجرائد للأخبار المهمة التى تبالغ مصالح الحكومة فى اخفائها عن أعين الأمة) منزلة أقبح من منزلة سرقات اللصوص ... كان من الواجب على جريدة المقطم أولا وكل جريدة تغار على شرف الصحف ثانيا أن تطلب تحقيق التهمة الشنيعة التى أذيعت عن بعضها رسميا قبل أن تهتم بالشىء التى تسميه سرقة تلغرافات الحربية » (٤) .

واتهمت جريدة « المؤيد » نظارة الحربية وجريدة « المقطم » بتخصيص موظف رسمى لتزويد « المقطم » بأنباء الحملة ، وقالت :

---

(١) جريدة « المؤيد » — ١٢ أغسطس ١٨٩٦ .

(٢) جريدة « المقطم » — ١١ اغسطس ١٨٩٦ .

(٣) سامى عزيز — مرجع سابق — ص ٩٩ .

وأنور الجندى — مرجع سابق — ص ٥٠ .

(٤) جريدة « المؤيد » ١١ اغسطس ١٨٩٦ .

« هل يمكن للمقطم اذا استحلفناه بذمة أصحابه وشرفهم ونزاهتهم أن ينشروا لنا اسم مكاتبه المرافق للحملة حتى يعلم القراء ان كان موظفا بمرتب من ادارة الجريدة أو من مستخدمى الحربية الذين ينقدون مرتباتهم من أموال الرعية ليؤدوا فيها وظائفهم بالأمانة لا أن يكونوا عمال الجرائد سرا وموظفين فى الحربية جهرا ... » (١) .

وأثارت هذه القضية اهتمام الرأى العام فى مصر حتى أن قاعة المحكمة كانت تضيق بمن فيها بينما حشود الجماهير تحيط بمبنى المحكمة من الخارج متلهفة الى معرفة ما يدور داخل القاعة (٢) وقد تجنبت جريدة «المؤيد» نشر نص الحكم الذى يبرىء الشيخ على يوسف ويدين توفيق كيرلس موظف مكتب التلغراف ، بينما نشره « المقطم » وضمنه تعليقه الذى يوحى فيه باستئناف النيابة لهذا الحكم :

« حكم قاضى محكمة عابدين الجزئية أمس بالحبس ثلاثة أشهر وبالحرمان من وظائف الحكومة خمس سنين على توفيق كيرلس مستخدم التلغراف لأنه أفشى تلغراف السردار وبرأه من سرقة تلغراف المقطم . وحكم ببراءة سماحة على يوسف صاحب المؤيد من المشاركة فى تلك السرقة وبقى الحكم الأخير فى هذه القضية لمحكمة الاستئناف الأهلية لأن النيابة لا يمكن أن تقبل هذا الحكم بل لابد لها من الاستئناف » (٣) .

غير أن الحكم الصادر من الاستئناف الأهلى قد صدر مؤيدا

(١) جريدة « المؤيد » - ١٣ أغسطس ١٨٩٦ .

(٢) احمد شفيق باشا - مرجع سابق - ص ٢٣١ .

وعبد اللطيف حمزة - أدب المقالة الصحفية فى مصر - ص ١١٠ .

(٣) جريدة « المقطم » - ٢٠ نوفمبر ١٨٩٦ .

لحكم محكمة عابدين الجزئية ، « واستقبلته الجموع التى احتشدت حول مبنى المحكمة بمظاهرة وطنية شعبية وصفقت وهللت للشيخ (المقصود الشيخ على يوسف) وأقبلت عليه تهنئه » (١) .

وانا نرى أنه اذا كان لهذه القضية أثرها فى الرأى العام المصرى الذى شغف بأحداث حملة دنقلة وما ينشر عنها من أنباء ، فقد كان لها رد فعل قوى فى الدوائر الرسمية الى حد يجعلنا نتصور أن ذلك القائد البريطانى الشهير كتشنر سردار الجيش المصرى كان وسط مسئولياته الجسيمة خلال قيادته للجيش الزاحف نحو الجنوب يضع فى اعتباره موقف الصحف المصرية من الحملة وبصفة خاصة موقف « المؤيد » وصاحبه الشيخ على يوسف ، ودليلنا على ذلك أن كتشنر بعد تجريده دنقلة وقف يتحدث فى حفل تكريمه الذى أقامه له اللورد كرومر فى القاهرة وأثار ذلك وحرص أن يرد على الشيخ صاحب « المؤيد » لقد قام كتشنر يشكر اللورد كرومر ويقول :

« .... انه يشاع أن همة الجنود المصرية قد تأثرت فى المعيشة الصعبة والأشغال الشاقة ، وبما أننى أعرف من المكاتب الذى أذاع هذه الأخبار غير الحقيقية عن الجنود المصرية ، فاننى أحقق لكم أن الضباط والعساكر قاموا بتنفيذ كل ما أمروا به من الأعمال الصعبة بكل ارتياح ، وبما أنهم قاموا بالتجربة التى أعطيت لهم الثقة فى أعمالهم وأدركوا قيمة قوتهم فان صبرهم سيكون أكثر

---

(١) جريدة « مصر » - ٢١ ديسمبر ١٨٩٦ .

وعبد اللطيف حمزة - أدب المقالة الصحفية فى مصر - ج ٤ - ص ١١٠ .

وعزمهم أشد حتى يقوموا بأعمال أكثر مشـــقة والما بمجرد طلب وطنهم استرجاع باقى البلاد السودانية » (١) ٠

وهكذا يثبت لنا الى أى حد تاثرت حملات استرجاع السودان بالرأى العام فى مصر مثلما أثرت فيه وكان ذلك من خلال الصحف المصرية ٠

---

(١) احمد شفيق باشا ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٦ ٠

الصراع الأنجلو فرنسي
وانعكاسه على الصحف اليومية المصرية

الصراع الأنجلو فرنسى
وانعكاسه على الصحف اليومية المصرية

ظل موضوع تمويل حملات السودان موضوعا حيا على صفحات الصحف اليومية المصرية منذ اليوم الأول لتقرير الحملة والى ما بعد سقوط عاصمة المهدية فى أم درمان . وكما عبرت الصحف المصرية عن جميع وجهات النظر المتباينة فى هذا الشأن ، فقد انعكست أيضا الصراعات السياسية الدولية بكل أبعادها على ما كان ينشر فى الصحف حول مشكلة التمويل وتغطية النفقات ، والتى بلغت جملتها ٢٫٣٥٤٫٣٥٤ جنيها مصريا منها مبلغ ٧٢٥٦٤١ جنيها مصريا هى تكاليف حملة دنقلة (١) والتى أثير حولها جدل عنيف عندما طلبت بريطانيا نصف مليون جنيه من صندوق الدين لتمويل الحملة وعارض مندوبا فرنسا وروسيا ولجأ الى المحكمة المختلطة لالغاء موافقة صندوق الدين على اعطاء المبلغ للخزانة المصرية (٢) .

وقد دارت معركة صحفية عنيفة حول هذه القضية كان طرفاها الرئيسيان « المقطم » و « المؤيد » واشتركت فيها بقدر سائر

---

(١) Report by Her Majesty's Agent and Consul General on Finances Administration and Condition of the Sudan in 1898 London (1899) p. 1.

(٢) محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ـ ص ٥٠٤ .
وكذلك : Cromer : Modern Egypt vol. II, p. 105-106.

الصحف الأخرى . وكان الخلاف بين الصحف المصرية حول قضية صندوق الدين يعبر عن كل أبعاد الخلاف السياسى بين أنصار الاحتلال البريطانى فى مصر من جهة ، وبين معارضيه ومؤيدى فرنسا من جهة أخرى . واتخذ هذا الخلاف من الصحف المصرية ميدانا من ميادين الصراع عندما التزمت بعض الصحف بالدعوة لوجهة النظر الفرنسية بينما اتجهت الأخرى الى الدفاع عن الاحتلال البريطاني وموقفه من القضية ، وان اتفقوا جميعا في وضع رداء الدفاع عن مصلحة مصر .

وما من شك في أن تقرير ارسال حملة دنقلة بصورة مفاجئة دون أن يوضع في الاعتبار المصاعب المالية والعسكرية ودون التمهيد لها (١) ، كان له أثره البالغ في ازدياد حملة المعارضة التى كان من بين ما استندت اليه حالة الخزانة المصرية وحاجتها الى الأموال التى أنفقت على الحملة (٢) .

ومنذ اتخاذ قرار ارسال حملة دنقلة بدأت جريدة « المؤيد » حملتها الصحفية حول الأموال اللازمة للحملة حتى قبل أن يوافق صندوق الدين على طلب سولسبرى باقراض مصر مبلغ نصف المليون جنيه وكان سولسبرى قد طلب ذلك من صندوق الدين يوم ١٥ مارس ١٨٩٦ (٣) . وأعلنت « المؤيد » موقفها من ذلك وأشارت منذ البداية الى خطورة قيام انجلترا بتحمل نفقات الفتح ، ونشرت رأيها في سياق خبر نسبته الى مصادر انجليزية دون أن تحددها ، وقالت :

« يشيع بعضهم عن المصادر الانكليزية أنه اذا رفض صندوق

---

(١) Cromer : Modern Egypt, vol. I, p. 83.

(٢) أحمد شفيق باشا ــ مرجع سابق ، ص ٢٩٩ .

(٣) محمد فؤاد شكرى ــ مرجع سابق ، ص ٥٠٤ .

الدين الموافقة على المبلغ المطلوب للحملة المصرية تتولى انكلترا الانفاق عليها من أموالها الخاصة وهو ان صح يجب أن تفطن أوربا لما وراءه من المقاصد السياسية الكبرى » (١) .

غير أن جريدة « المقطم » كانت قد سبقت في عرض الموضوع ولكن من وجهة نظرها ، وضمنت ذلك ملحقها الذى أصدرته عن « فتح السودان » (٢) ، وقالت فيه :

ان نفقات الحملة قدرت بمبلغ خمسمائة ألف جنيه تحصل عليها الحكومة المصرية من الأموال الاحتياطية وأنها طلبته بالفعل من صندوق الدين وان أعضاء الصندوق أرسلوا يطلبون تصديق دولهم على ذلك » (٣) .

وقالت :

« المأمول أن الدول تصادق على هذا الطلب اجماعا لا سيما وأن الأكثرية وهى انجلترا وألمانيا وايطاليا والنمسا تصادق عليه بلا منازعة والأكثرية تقوم مقام الاجماع من هذا القبيل وقد فتحت المالية اعتمادا لنظارة الحربية تستوفيه من أصل المال الذى تأخذه من صندوق الدين » (٤) .

وظل « المقطم » يتابع الموضوع حتى آنه كان يشير الى ما تم والى مالم يتم ونشر فى ملحقه التالى مايفيد أن رد الدول على صندوق الدين لم يصل وكانت جريدة « المؤيد » سباقة فى تأكيدها رفض روسيا وفرنسا لهذا الطلب وأشارت الى أن الطلب لم يقدم من

---

(١) جريدة « المؤيد » ـ ١٨ مارس ١٨٩٦ .

(٢) ملحق جريدة المقطم ـ ١٦ مارس ١٨٩٦ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) ملحق جريدة المقطم ـ ١٧ مارس ١٨٩٦ .

الحكومة المصرية وأنه قدم من اللورد سولسبرى الذى أبلغه الى سفراء الدول (١) وهذا يتفق مع الحقائق التاريخية التى وردت فى المراجع المختلفة (٢) ·

وقالت جريدة « المؤيد » :

« ان روسيا وفرنسا لا تجيبان مطلقا على هذا الطلب وربما أجابت ألمانيا لأن مصلحتها السياسية الحاضرة تقضى بمساعدة ايطاليا التى اتخذتها انكلترا أحبولة لاجتذابها نحوها وفصلها عن روسيا وفرنسا فى مسائل الاستعمار ـ على أن الحقيقة أن لا منفعة لايطاليا من الحملة المصرية كما أنه لا منفعة لمصر نفسها منها » (٣) ·

ثم عادت جريدة « المؤيد » فى ملحقها الذى أصدرته ثالث أيام عيد الفطر الى نشر خبر اجتماع أعضاء صندوق الدين لبحث طلب الحكومة المصرية ، ولكنها ضمنت الخبر ما يفيد أن المبلغ المطلوب هو لفتح السودان لصالح بريطانيا تحت ستار حماية الحدود المصرية · وقالت :

« ان الصندوق سيطلب من الحكومة ايضاحا لطلبها المجمل لأنها لم توضح فيه أن هذا المبلغ مطلوب نفقة لحملة مهاجمة الدراويش بل لوقاية الحدود المصرية وتقويتها وابعاد العدو عنها وهى تعمية لا وجه لها اذا كان سر الأمر فى أفواه العامة ويلفظ به اليوم كل انسان » (٤) ·

---

(١) جريدة المؤيد ـ ١٨ مارس ١٨٩٦ ·

(٢) محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٥٠٤ ·

ومكى شبيكة : مرجع سابق ، ص ٤٤٠ ·

(٣) جريدة المؤيد ـ ١٨ مارس ١٨٩٦ ·

(٤) ملحق جريدة المؤيد ـ ١٨ مارس ١٨٩٦ ·

وبينما نجد « المؤيد » وقد وضع رأيه فى سياق الخبر وكشف عن موقفه من موضوع تمويل الحملة ـ فان « المقطم » قد نشر الخبر مجردا من كل رأى ، وفى كلمات موجزة ، ثم نشر مقالا مستقلا قدم من خلاله الرأى الذى يؤيد قرار ارسال الحملة وتغطية تكاليفها بواسطة صندوق الدين . ويحمل الخبر الموجز الذى نشره «المقطم» ردا ضمنيا على الخبر الذى سبق نشره فى جريدة « المؤيد » حول عدم تقدم الحكومة المصرية بطلبها لصندوق الدين والاعتماد على اتصال سولسبرى بالسفراء (١) ، ويبدو أن « المقطم » كان أكثر الماما بما يجرى عندما قال :

ان الحكومة المصرية كتبت اليوم الى صندوق الدين تطلب مصادقته على أخذ المال اللازم لفتح دنقلة من الاحتياطى العمومى » (٢) .

ثم قالت فى مقالها الذى نشر فى نفس اليوم تحت عنوان فتح السودان » :

« ان قرار ارسال الحملة يوافق مصلحة مصر لأنه يرد السودان اليها ومنافع ذلك لا تخفى على أحد كما قال رياض باشا ... وان فتح السودان يحتاج الى المال والمال موجود الآن والوصول اليه ميسور لاتفاق أربع دول على جواز أخذه من صندوق الدين بخلاف ما لو طلبته مصر فى وقت آخر » (٣) .

وهكذا نرى أبعاد الخلاف حول قضية التمويل وقد انعكست بوضوح منذ البداية على صفحات الصحف اليومية المصرية الى حد أن الصحف ـ وخاصة جريدتى المؤيد والمقطم ـ سبقت الموافقة

---

(١) جريدة المؤيد ـ ١٨ مارس ١٨٩٦ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) جريده المقطم ـ ١٨ مارس ١٨٩٦ .

الرسمية للدول المختلفة وتنبأت بكل ما وقع بعد ذلك وحددت موقف كل دولة من الدول الست لصندوق الدين ، وما ستلجأ اليه كل من انجلترا من جهة وفرنسا وروسيا من جهة أخرى ، وهذا ما تم بالفعل (١) محققا النبوءات الصحفية لكل من المقطم والمؤيد وان كان كل منهما دلل على ما سيجرى وعلق عليه من وجهة نظره الخاصة .

غير أن باقى الصحف المصرية لم تكن — فى معالجتها لقضية تمويل الحملات بهذا الوضوح الذى ظهر جليا فى موقف كل من « المؤيد » و « المقطم » باستثناء « الأهرام » الذى اتخذ موقف التأييد لوجهة النظر الفرنسية مدعما بذلك موقف « المؤيد » وهذا ماذكره عمر الدسوقى وسامى عزيز وسلادن Sladen (٢) .

وبدت الصحف الأخرى أكثر موضوعية وأكثر قربا من موقع الحياد . ومن أمثلة ذلك ما عرضته جريدة « الاتحاد المصرى » فى أول مقال لها عن حملات السودان عندما قالت عن التمويل :

« ... وقد طلبت نظارة الحربية مبلغا قدره خمسمائة ألف جنيه لنفقات هذه الحرب فرضيت الحكومة بانفاق هذا المبلغ ودفعت نظارة المالية من أصله مائة ألف جنيه على أن صندوق الدين لم يصادق حتى الآن على صرف تلك القيمة وان لم تكن من المبالغ المخصصة للديون بل من الاحتياطى الحر الذى يمكن للحكومة أن تتصرف فيه برضى أغلبية أعضاء صندوق الدين ، وهذه الأغلبية حاصلة عليها اذ لم يتوقف فى التصديق الا العضوان الروسى

---

(١) محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٥٠٤ .

(٢) عمر الدسوقى : مرجع سابق ، ص ٢٠ ، ٨٠ ، سامى عزيز : مرجع سابق ، ص ١٤٢ .

وكذلك : Sladen : Op. Cit., p. 125.

والفرنساوى وقيل انه اذا صادق بقية الأعضاء على صرف المبلغ فهما يستعفيان ، ولا يخفى ما سيكون وراء ذلك من المشاكل السياسية » (١) ٠

غير أن جريدة « الاتحاد المصرى » لجأت بعد ذلك الى التقليل من شأن معارضة فرنسا وروسيا والتهوين مما قد يترتب على عرض الأمر على المحاكم المختلطة واعتبرتها غير مختصة بنظر ذلك الأمر ويبدو أن « الاتحاد المصرى » قد بدأت تؤمن بحتمية استمرار الحملات باعتبارها الأمر الواقع ، وقد عبرت عن ذلك فى مقالها الرئيسى الذى نشر فى صدر الصفحة الأولى تحت عنوان «صندوق الدين» وتناولت فيه تفاصيل موضوع التمويل وتطورات القضية كما يلى :

« فى يوم الخميس الماضى عقد مجلس صندوق الدين جلسة خصوصية للنظر فى مسألة الاعتماد المالى الذى طلبته مصر للقيام بمصاريف الحملة السودانية فدارت رحى المداولات واشتد الجدال وكانت النتيجة أن الأعضاء الانكليزى والنمسوى والألمانى والايطالى قرروا اعطاء مبلغ الخمساية ألف جنيه المطلوبة وأما العضوان الفرنسوى والروسى فقد رفضا الاشتراك بالرأى فصدر الحكم بالأغلبية » ٠

« على أن العضوين الفرنساوى والروسى لم يكتفيا بالرفض بل أقاما الحجة رسميا ورفع بعض الماليين الفرنساويين قضية على صندوق الدين أمام المحاكم المختلطة فجاء المحضر الى الأعضاء الذين قرروا الاعتماد بطلب الحضور الى المحكمة فى اليوم المعين لسماع الدعوى وهو ١٣ أبريل القادم ٠ وهذا أمر خطير لم يسبق له فى مصر مثيل وسيكون لهاته الدعوى أهمية عظيمة لمعرفة ما اذا كان يمكن للأكثرية الحكم باعطاء المبالغ التى تطلبها الحكومة المصرية من

(١) الاتحاد المصرى ـ ١٩ مارس ١٨٩٦ ٠

المال المقتصد من دخلها السنوى والذى تودعه صـــندوق الدين أمانة ... فبالقضية المقامة الآن على أعضاء صندوق الدين ستكون نقطة البحث المهمة فيها تطبيق معنى الاتفاق واذا كان يشمل حقيقة الســودان أم لا واذا كانت الســودان لا تزال معتبرة من داخلية القطر المصرى أو اذا كان تركها مدة جعلها خارجة عنه وبلادا مستقلة عدوة لمصر » (١) .

وفى نفس العدد نشرت الجريدة خبر اســتلام نظارة المالية مبلغ ٢٠٠٠٠٠ جنيه . وقالت :

« ان اعتراض العضوين الفرنساوى والروسى لم يمنع ادارة مجلس الصندوق عن دفع مبلغ مائتى ألف جنيه من أصل الخمسمائة الف المطلوبة فاستلمتها نظارة المالية شيك على لندرا . أما القضية المقامة على صندوق الدين والحكومة الخديوية فقد رفعها بعض الماليين الفرنسيين برئاســة المســيو هربو والظاهر أن حكومتنا لم تحفل بهاته الدعوى واستلمت المبــلغ الذى ذكرناه تاركة للمجــالس المختلطة الحرية فى اجراء ما ترغب اجراءه وكذلك صندوق الدين فانه لم يحفل بذلك اعتمادا على أن المجالس المختلطة لا يمكنها وليس من اختصاصها النظر فى ذلك » (٢) .

وقد تجنبت جريدة « مصر » اتخاذ موقف محدد من قضية التمويل ولجأت الى النقل عن الصحف الأخرى بما فى ذلك الصحف الانجليزية والفرنسية ، وهى بذلك قد عرضت وجهتى النظر دون أن تلتزم بالدفاع عن وجهة نظر بعينها ونشرت جريدة « مصر » فى صفحتها الأولى تحت عنوان « أقوال الجرائد الأجنبية » ما يلى :

---

(١) الاتحاد المصرى ـ ٢٩ مارس ١٨٩٦ .

(٢) نفس المرجع .

« قالت جريدة المورنبج بوست :

« أن الأموال المصرية المقتصدة فى صندوق الدين لا يمكن أن نمسكها الحكومة الانكليزية الا بعد تصديق الدول بالاجماع على ذلك وخصوصا الدولة الفرنساوية التى هى صاحبة الشأن الأول فى هذه المسألة وانه اذا كان الغرض من الحملة على دنقلة هو مساعدة الايطاليين والأخذ بناصرهم فى كسلا فالواجب على الحكومة الانكليزية فى هذه الحالة أن تنفق عليها من خزينتها وليس من الخزينة المصرية لأن مال مصر يجب أن يصرف فيما يفيد مصر وما تحتاج اليه من الاصلاحات الداخلية والمشروعات الوطنية العمومية » (١) .

وظلت أخبار قضية صندوق الدين تفرض نفسها على سائر الصحف المصرية طوال نظر الدعوى ، وقد عبرت جريدة « الاتحاد المصرى » عن مدى اهتمام الرأى العام بهذه القضية وعن احتمالات تحمل الخزانة البريطانية لمصروفات الحملة . وقالت :

« يعلق الناس على الدعوى المقامة من الماليين الفرنساويين على الحكومة المصرية وعلى صندوق الدين أهمية عظيمة لأنها دعوى لم يسبق لها مثيل فى وادى النيل وينظرون ما ستقرره المحكمة المختلطة بشأنها .. والغالب على الظن أن الحكومة الانكليزية لا ترجع حالا عن حملة السودان وربما أنفقت من خزينتها لأن ذلك يجعل لها حقا فى امتلاك ما تفتحه برجالها ومالها من البلاد السودانية بدلا من أن تكون هاته البلاد عائدة الى مصر وهو ما يتحاشاه رجال حكومتنا الكرام وما لا تود الدولة الأوربية نفسها . على أن أكثر الأفكار فى انكلترا غير ميالة الى الحملة وقد طعن عليها كبار الرجال مثل اللورد روزبرى والمستر مورلى وتشارلس ديلك وغيرهم طعنا فادحا

---

(١) جريدة مصر - ٢ ابريل ١٨٩٦ .

لو أصاخت الحكومة الانكليزية اليه أذنا صاغية لعدلت عن عزمها منذ الآن » (١) ٠

وقد كانت جريدة « الاتحاد المصرى » بالفعل من أكثر الصحف المصرية اهتماما بقضية التمويل بل وأفردت لها من مساحتها أكثر مما فعلت أية صحيفة أخرى باستثناء « المقطم » الذى انفرد بالتنبؤ باحتمالات تأجيل نظر القضية اجابة لطلب المدعين (٢) ، كما انبرى لمهاجمة جريدة « المؤيد » والرد عليها فيما تثيره حول الحملة ، وأبرز خبر تشكيل لجنة تعارض لجنة الدائنين الفرنسيين أصحاب الدعوى التى تنظرها المحكمة المختلطة :

« اجتمع حضرات الوجهاء رستوفتش بك والمسيو رزفوداكى والخواجات سوارس والمسيو دلاهى من أصحاب السندات المصرية التى تبلغ قيمتها ٢٠٠ ألف جنيه وألفوا لجنة ضد المدائنين الفرنساويين الذين أقاموا الدعوى على الحكومة وصندوق الدين وعلى نظارة المالية ألا يعتدوا بدعوى اللجنة الباريسية « التى لا تعين مبلغ سنداتها » وقد اعترضوا فيها على اعتراض اللجنة الفرنساويين من ثلاثة أوجه : أولها أنه مناقض للمادة الثالثة من الأمر العالى الصادر في ١٨ يوليو سنة ١٨٨٨ ٠ وثانيهما : أنه وخيم العاقبة على المالية المصرية لأنه يجعل صندوق الدين أسير عضو واحد من أعضائه ٠ ثالثهما أنه يجعل وضع قيمة السندات وذلك لا يوافق مصلحة الدائنين ٠ وبلغنا أن جماعة من تجار انكلترا الذين بيدهم سندات بخمسمائة ألف جنيه اعترضوا على ما فعلته اللجنة الباريسية ٠ هذا ولا ريب أن كل المدائنين المصريين يرون رأى هذه اللجنة وأن أصحاب المصالح راغبون فى استرجاع السودان راضون

---

(١) الاتحاد المصرى ــ ٢ أبريل ١٨٩٦ ٠

(٢) جريدة « المقطم » ــ ١٢ أبريل ١٨٩٦ ٠

عن حملة دنقلة ولا عبرة بعد ذلك بأقوال المرجفين وشقشقة لسان الذين لا مصلحة لهم الا الكلام » (١) .

وكذلك حملت جريدة « المقطم » لواء الدعـــوة الى التقشف وانفردت بنشر نبأ قرار مجلس النظار الذى يدعو المصالح الحكومية الى الاقتصاد فى النفقات لمواجهة ما تتطلبه حملات الســـودان من مصروفات مما يستوجب الاكتفاء باستكمال المشروعات التى خصصت لها بالفعل اعتمـــادات مالية أو شرع العمل فيهـــا ، أما بالنسبة للمشروعات الأخرى فتقتصد الأموال المخصصة لها ، وذلك لتغطية احتياجات الحملة (٢) .

واذا كنا قد سجلنا للمقطم ما حققه من سبق فى نشر أنبـاء الحملة وتفاصيل أخبارها ، ودقته فى هذا الشأن ، فلابد هنا من أن نشير الى ما وقع فيه عندما نفى خبرين حقيقيين عاد بعد ذلك الى تأكيدهما . والخبر الأول كان حول حصول الحكومة على مبلغ ١٥٠ ألف جنيه من أصل المبلغ المطلوب لنفقات الحملة ، أما الثانى فكان خبر قيام العضو الروسى والعضو الفرنسى بمنع صندوق الدين من دفع مزيد من المال للحكومة المصرية . وقد نشرت جريدة « المقطم » الخبرين باعتبارهما من الشائعات الكاذبة ، وقالت :

« شاع أن الحكومة استلمت من المال الاحتياطى مائة وخمسين ألف جنيه أخرى من أصل ٥٠٠ ألف جنيه التى تقرر انفاقهـــا على حملة دنقلة وهى اشاعة غير صحيحة . وشاع أن العضو الروسى والعضو الفرنساوى فى صندوق الدين أقاما الحجز على منح الحكومة المال الذى طلبته لحملة دنقلة من المال الاحتياطى وبعثـا بانذار الى

---

(١) نفس المصدر .

(٢) جريدة المقطم ـ ١٤ أبريل ١٨٩٦ .

بقية رفاقهما على يد المحكمة المختلطة يعترضان على تسليم المال الى الحكومة ويحفظان حقوقهما فى هذا الشأن ولكن يؤكد الثقات أن لا صحة لهذه الاشاعة » (١) ٠

ثم عادت جريدة « المقطم » فى اليوم التالى لتنشر تصحيحا تؤكد فيه صحة الخبرين بعد أن كانت تعتبرهما من الشائعات غير الصحيحة ٠ وقد لجأت الى الادعاء بأنها كانت قد شرعت فى نشر الخبرين باعتبارهما من الأخبار الصحيحة غير أن مصدرا لم يشر اليه المحرر نفى صحة كلا الخبرين مما اضطر « المقطم » الى التغيير خلال الطبع ٠ وقد استهل تصحيحه قائلا :

« طبعنا أمس جانبا من المقطم متضمنا خبرا صحيحا عن استلام الحكومة ١٥٠ ألف جنيه من أصل ٥٠٠ ألف جنيه من المال الاحتياطى ثم أكد لنا بعضهم أن الخبر اشاعة غير صحيحة وأسند روايته الى ثقة لا يراجع فى قوله ٠ فصححنا روايتنا الصحيحة طبقا لذلك فى ما بقى من أعداد ٠ ثم تبين أن صاحبنا قد وهم فى ما أوهم وانا أصلحنا الصواب بالخطأ ٠ فاقتضى أن نعيد اليوم أن الحكومة استلمت المبلغ المذكور وأن العضو الفرنساوى والعضو الروسى فى صندوق الدين اعترضا على ذلك وأرسلا اعتراضهما الى رفاقهما من أعضاء الصندوق والى نظارة المالية على يد المحكمة المختلطة ٠٠ » (٢)

غير أن أكثر ما يثير اهتمامنا بالنسبة لقضية صندوق الدين هو أن الصحف المصرية قدمتها باعتبارها صورة من صور الصراع بين فرنسا وانجلترا ، وتبنت بعض الصحف وجهة النظر الفرنسية تدافع عنها مثلما فعلت جريدتا « الأهرام » و « المؤيد » بينما كانت « المقطم » تعكس وجهة النظر البريطانية ٠ واتخذت الصحف الأخرى موقفا أكثر موضوعية جعلها تبدو فى صورة الصحف

---

(١) جريدة المقطم – ٢١ ابريل ١٨٩٦ ٠

(٢) جريدة المقطم – ٢٢ ابريل ١٨٩٦ ٠

المحايدة . وقد لا نجد هذا الأمر واضحا بالنسبة لموقف آخر مثلما اتضح في موقف الصحف المصرية خلال نظر قضية صندوق الدين وأثناء أزمة فاشودة .

وتولت جريدة « المقطم » الـــرد على ما كان ينشره الموالون لفرنسا ، وذهبت الى وصفهم بالمأجورين ، وأطلقت على هذه الصحف تعبيرا خاصا وقالت أنها « الجرائد المحلية الفرنسية » ومن أمثلة ذلك ما نشرته حول نفقات الجنود الايطالية في كســـلا وهو خبر روجت له الصحف المؤيدة لفرنسا بهدف اثارة الرأى العام ضد النفقات التى تتحملها الحكومة المصرية في سبيل اعادة فتح السودان لحساب بريطانيا . وبينما كان ذلك مطروحا روجت نفس الصحف لما يتردد عن مطالبة ايطاليا للحكومة المصرية بتحمل نفقات الجنود الايطاليين في كسلا .

ولذلك فقد لجأ « المقطم » الى الرد على هذه الصحف وتكذيبها مستخدما أسلوبا عنيفا ومباشرا . فقال :

« أكثرت الجرائد المحـلية الفرنســـاوية والمأجـورة للفئـة الاستعمارية من الارجاف هذه الأيام بأن حكومتى انكلترا وايطاليا تطلبان من الحكومة المصرية دفع نفقات الجنود الايطالية المحتلة كسلة بناء على أن تخليها لمصر بعد مدة وأن عطوفة مصطفى باشا فهمى اجتمع بجانب اللورد كرومر ومتولى أعمال القنصـــلية الايطالية الجنرالية وذاكرهما فى ذلك . والحل أن عطوفة لم يجتمع بهما فى هذه الأيام ولا جرت مذاكرة من هذا القبيل على الاطلاق ولا فاتح أحد الحكومة المصرية بذلك على وجه رسمى أو غير رسمى . نقول هذا تقريرا للحقيقة لا استهجانا لأمر لو صح لكان فى رأينا نافعا

(١) جريدة المقطم ـ ٢٢ ابريل ١٨٩٦ .

لمصر لا مضرا بها اذ خير لمصر أن تدفع نفقات حامية يحمى بها الآن جانبا من أملاكها ثم ترده اليها من أن يستولى الدراويش عليه ثم تضطر أن تنفق ذلك المال وتبذل فوقه أرواح الرجال على استرجاعه منهم • ولكن الحقيقة أنه لم يجر شيء مما قالته تلك الجرائد والحق أولى أن يقال على كل حال » (١) •

وبالنسبة لسير الدعوى فى المحكمة المختلطة ، اقتصرت جريدة « المقطم على سرد مختصر لما يجرى فى المحكمة دون تعليق وكأنها تحرص على دفع القضية برمتها الى خارج الضوء أو الى عالم النسيان • وكان نشر أنباء الدعوى يتم فى عمود الأخبار المحلية •

« أجلت محكمة مصر المختلطة الحكم فى قضية صندوق الدين والحكومة المتعلقة بحملة دنقلة الى يوم الاثنين الآتى ٨/٦» (٢) •

« صدر اليوم حكم محكمة مصر المختلطة الحكم فى قضية المال الذى أخذ من صندوق الدين لحملة دنقلة وخلاصته أن المحكمة مختصة بالنظر فى هذه القضية وأن أصحاب السندات المصرية وعضوين بصندوق الدين شكيب باشا والمستر جيسون مخرجون من هذه القضية وأن الحكومة ترد الى صندوق المال الذى أخذته منه مع فائدة على معدل ٥٪ سنويا من حين أخذه ولم تتعرض لمسألة أعضاء صندوق الدين الأربعة الذين وافقوا على اعطاء المال وأخلت طرف الصندوق والمراقب وأبلغت صندوق الدين وأن يمسك عن الحكومة المال الذى يستحق دفعه اليها حتى يسترد المال الذى أخذته مع فائدة وأن تدفع الحكومة نفقات الدعوى ماعدا نفقات المدائنين المصريين فيدفعونها هم » (٣) •

---

(١) جريدة المقطم ـ ٢٠ مايو ١٨٩٦ •

(٢) جريده المقطم ـ أول يونية ١٨٩٦ •

(٣) جريدة المقطم ـ ٨ يونية ١٨٩٦ •

اما جريدة « المؤيد » فقد حرصت على الاستمرار فى اثارة الموضوع برمته ، وتخيرت من البرقيات التى ترد عن اجتماعات مجلس العموم الانجليزى ما تعتبره مناسبا لتحقيق هدفها • وكان من بين ذلك ما أثارته المعارضة فى مجلس العموم حول معارضتهما تحميل حكومة الهند مصاريف حملة سواكن (١) . وقد علقت جريدة « المؤيد » على ذلك فى اليوم التالى قائلة :

« فمن العدل والصواب أن تتحمل خزينة انكلترا نفقة كل عمل يجرى فى مصر والهند حماية لمصلحتها فيهما ولكن الانكليز اتقنوا سياسة المواربة فاتخذوها سلاحهم لتنفيذ كل مشروع أرادوا (٢) •

واتخذت جريدة « الاتحاد المصرى » من هذه القضية موقف التأييد لوجهة نظر الحكومة البريطانية التى تهدف الى تحمل مصر والهند جميع نفقات الحملة • وقالت :

« ••• لأنه لولا الامبراطورية الهندية لما كانت لانكلترا مصالح فى القطر المصرى فمن العدل أن تتحمل الهند جانبا من النفقات المبذولة فى سبيل المدافعة عن مصالحها » (٣) •

كما حرصت جريدتا « الاتحاد المصرى » و « مصر » على ابراز بعض النتائج الاقتصادية لاعادة فتح السودان من خلال معالجة قضية التمويل ، ولا يخفى على من يحلل المقالات التى تناولت ذلك أهمية ما تضمنته من ردود غير مباشرة على ما أثير حول ارهاق الميزانية المصرية بنفقات السودان •

---

(١) جريدة المؤيد – ٧ يولية ١٨٩٦ •

(٢) نفس المرجع – ٨ يولية ١٨٩٦ •

(٣) جريدة الاتحاد المصرى – ١٤ يونية ١٨٩٦ •

« ... وقد قال بعض التجـــار الذين لا يجهلون حـال السودان ويعرفون أحـوال أم درمان أن ثروة الخليفة عظيمة جدا وعلى الخصوص بين الفينة وأنه اذا استولى المصريون على تلك الثروة سددت نفقات الحملة وزادت عنها » . (١)

بينما تتحدث « الاتحاد المصرى » عن ثروة الخليفـــة التى تكفى لسد نفقات الحملة ، تتحدث جريدة « مصر » عن الأهميـــة الاقتصادية لاسترجاع دنقلة والرواج المنتظر .

وتحت عنوان « النفع من دنقلة » قالت جريدة مصر :

« ... وأما سكك الحديد ستتصل الى دنقلة يوما فأمر مقرر لا ريب فيه وهي سوف تصل الخرطوم وما يليها أيضا . فاذا تم ذلك واتضح وظهر أن الذى يبتاع أرضا أو يجعـــل لنفسه فى دنقلة مركزا من الآن يستفيد فائدة كبرى » . (٢)

وقد أعقبت ذلك بنشر مقال كبير فى صدر صفحتها الأولى عن اقتصاديات دنقلة وأعمال التنظيم الادارى بها . (٣)

وعالجت جريدة « المقطم » موضوع النفقات بصورة مباشرة ، ولجأت الى التقليل من قيمة ما أنفق فى ذلك :

علمنا أن نفقات حملة دنقلة لم تزد عن ٦٥٠ ألف جنيه من بدايتها الى نهايتها وهى جزء يسير مما كانوا يقدرونه لها قبل سفرها من هذه العاصمة ولا يبعد أن هذه القيمة تنقص عما هى عليه بما يزيد فى ميزانية نظارة الحربية هذه الســـنة فان كان

---

(١) جريدة الاتحاد المصرى ـ ١٤ يونية ١٩٨٦ .

(٢) جريدة مصر ـ ٥ أكتوبر ١٨٩٦ .

(٣) نفس المرجع ـ ٧ أكتوبر ١٨٩٦ .

ما يبقى من الايراد بعد المصروف فى نهاية هذه السنة يطرح من نفقات الحملة فتخفف عن خزينة الحكومة » (١) ٠

وظل موضوع نفقات الحملة يثار فى الصحف المصرية بين الحين والحين حتى بعد صدور حكم الاستئناف فى قضية صندوق الدين بل وبعد سقوط الخرطوم أيضا ٠ وقد نشرت جريدة « المقطم » حكم الاستئاف يوم صدوره دون تعليق ، غير أنها أعادت فى اليوم التالى تعلن عن استعداد انجلترا تقديم قرض للحكومة المصرية ٠ وكان ما نشر فى « المقطم » عن الحكم الاستئنائى لا يتعدى الوقائع فقط :

« صدر اليوم حكم محكمة الاستئناف المختلطة فى قضية الحكومة وصندوق الدين فى نصف مليون جنيه الذى أخذ من المال الاحتياطى لحملة دنقلة يتضمن الأمور الآتية :

١ ـ أن المحكمة مختصة بنظر هذه القضية ٠

٢ ـ أن المدانين المصريين والفرنساويين يخرجون منها ولا حق لهم فى اقامتها ٠

٣ ـ أن العضو الروسى والعضو الفرنساوي فى صندووق الدين غير مخرجين منها بل تحقق لهما اقامتها ٠

٤ ـ أن الأعضاء الأربعة الباقين لا يحق لهم أن يسمحوا للمحكمة بأخذ المبلغ الذى أخذته من المال الاحتياطى ٠

٥ ـ نقض الحكم الابتدائى حيث فوض الى العضوين الروسى والفرنسى تنفيذ الحكم وحجز أموال تحقق للحكومة ٠

٦ ـ الحكم على الحكومة المصرية برد المال مع فوائده ودفع المصاريف ٠

---

(١) جريدة المقطم ـ ١٧ أكتوبر ١٨٩٦ ٠

٧ ـ الحكم على أعضاء صندوق الدين الأربعة بدفع المصاريف التى تحملها العضوان الآخران فى المحكمة الابتدائية ٠

٨ ـ تكليف بقية الخصوم دفع المصاريف على وجه النسبة » (١) ٠
وعن القرض المقترح عبرت « المقطم » عن وجهـــــة النظر الانجليزية تعبيرا صادقا وكاملا (٢) ، وقالت :

« أخبر جناب اللورد كرومر الحكومة المصرية اليوم رســـميا بأن حكومته أمرته بأن يبلغها أنها اذا أقرت على أن ترد الى صندوق الدين خمس مائة ألف جنيه التى تناولتها من المال الاحتياطى لسد جانب من نفقات الحملة كانت المسئولية فى ذلك على الحكومة المصرية طبعا ولكن الحكومة الانجليزية مستعدة لتســــليفها قدر ما ترى خزينتها محتاجة اليه على شروط يتم الاتفاق عليها فيما بعد من حيث الدفع والفائدة ٠ » (٣)

واذا كانت جريدة « المقطم » لم تعلق تعليقا مباشرا على حكم الاستئناف فى قضية صندوق الدين ، فقد اتفقت كل من جريدة « مصر » وجريدة « الاتحاد المصرى » على انتقاد الحكم بل وذهبت الى مهاجمة المحاكم المختلطة ذاتها ٠ وقد ظهر ذلك فى المقالات التى نشرت خلال الأيام التى تلت صـــــدور الحكم ٠ وانتهجت جريدة « مصر » أسلوب الدفاع عن مصالح مصر دون التحيز لوجهة النظر البريطانية :

---

(١) جريدة المقطم ـ ٢ ديسمبر ١٨٩٦ ٠

(٢) مكى سبيكة : مرجع سابق ، ص ٤٣٩ ٠

وأحمد شفيق باشا : مرجع سابق ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٩ ٠
وكذلك ٠ young, G. : op. cit., p. 141.

(٣) جريدة المقطم ـ ٣ ديسمبر ١٨٩٦ ٠

« ••• وأما كدرنا من هذا الحكم فلأسباب كثيرة منها أننا كما قلنا من قبل الآن نحب أن تكون حكومتنا قوية عزيزة ••• وأما المصرى الذى يظهر « الشماتة » الفرح بمثل هذه الحال زعما منه ان المحتلين خذلوا وأن الوطنية فازت فهو على ضلال مبين » (١) •

وأرجعت جريدة « الاتحاد المصرى » الأمر الى أسبابه السياسية قائلة :

« ••• ولا عبرة بما فعلته الحكومة مع صندوق الدين من أخذ خمس مائة ألف جنيه من المال الاحتياطى للمساعدة في مصاريف حملة دنقلة لأنها أخذت ذلك المبلغ من مال أودعته أمانة لحسابها وهو خلاف المبالغ الاحتياطية الموضوعة لضمان الدين وقد سبق للحكومة أن أخذت منه مبالغ عديدة برضى الأكثرية دائما ولم يخطر لبال أعضاء صندوق الدين أن يقيموا الدعوى عليها وعلى زملائهم ولو لم تكن مسألة دنقلة مسألة سياسية لما قام العضوان الفرنساوى والروسى يشددان النكير ويكفان يد الحكومة عن مس مالها » (٢) •

تم ذهبت بعد ذلك الى مهاجمة الحكم الاستئنافى وقالت :

« ••• ومع ذلك فان حكم محكمة الاستئناف لم يفد البلاد المصرية شيئا ولم يؤثر فى الانكليز أدنى تأثير بل كان بالعكس سبب فوزهم اذ أنهم وجدوا الواسطة التى كانت تتوق اليها أنفسهم من دفع نفقات الحملة السودانية لتكون تلك البلاد غنيمة باردة لهم » (٣) •

---

(١) جريدة « مصر » ــ ٤ ديسمبر ١٨٩٦ •

(٢) جريدة « الاتحاد المصرى » ــ ٦ ديسمبر ١٨٩٦ •

(٣) جريدة « الاتحاد المصرى » ــ ٦ ديسمبر ١٨٩٦ •

وانتقلت بعد ذلك الى مهاجمة المحاكم المختلطة ذاتها وتوجيه الاتهامات اليها :

« ... هم يسمونها عدالة وهى بغير ذلك الوصف أحرى .. أرادت أوروبا أن تنشىء عندنا المجالس المختلطة على زمن المغفور له اسماعيل باشا الخديو الأسبق محافظة على الحقوق فضا للمشاكل الطارئة بين النزلاء الأجانب والأهالى الوطنيين . وقد أتت على مايقول البعض خدمات جليلة وقدمت للبلاد فوائد لا تحصى . نعم ولكن بنزع ملكية الوطنيين وجعله حلالا للأجانب وبالقضاء على البيوت العامرة لكثرة ما تتقاضاه من الرسوم الفادحة فهى كانت بالاجماع مفيدة ولكن لذاتها وللساعين فى تأسيسها نافعة ولكن كسلاح ضد أهل البلاد » (١) .

كما اشتركت أيضا جريدة « مصر » فى الهجوم على المحاكم المختلطة ونشرت مقالا مطولا استنفد معظم صفحتها الأولى بعنوان « المحاكم المختلطة » وجاء فيه :

« لا ريب أن وجود المحاكم المختلطة فى القطر المصرى مما يذيب الفؤاد حسرة ويوجب الأسف الشديد لأنه شاهد أكبر على الضعف ودليل واضح على تسلط الأجانب وعدم ثقتهم بالمصريين » (٢) .

وقد جاء نشر هذا المقال الكبير بعد أن أعادت الحكومة المصرية المال الى صندوق الدين . واكتفت جريدة « المقطم » بنشر الخبر وتفاصيله دون تعليق بينما تابعت جريدة « مصر » تعليقاتها بعد ذلك . وكما انفرد « المقطم » بعدم التعليق فانه أيضا انفرد بالتفاصيل :

---

(١) جريدة « الاتحاد المصرى » ـ ٦ ديسمبر ١٨٩٦ .

(٢) جريدة « مصر » ـ ١٨ ديسمبر ١٨٩٦ .

« دفعت الحكومة أمس الى صندوق الدين مبلغ ٥٠٠ الف جنيه التى حكم عليها بردها اليه مع الفوائد والمصاريف التى بلغت ١٥٥٩٤ جنيه فيكون مجموع ما دفعته أمس الى صندوق الدين ٥١٥٥٩٤ وذلك من الأموال المجتمعة الآن في خزينتها وقد بلغ مقدار الأموال التى اجتمعت في خزينة الحكومة أمس صباحا بما فيه أموال الأمانات وغيرها ٦٣٠٠٠٠ جنيه فيكون الباقى الآن فى خزينة الحكومة بعد ما دفعته الى صندوق الدين حوالى ١٥ ألف جنيه » (١) ٠

ولم تعلق جريدة « المقطم » على الخبر ولم تبد من خلاله رأيا خاصا بعكس ما كان من جريدة « مصر » التى نشرت مقالا بعنوان « كيف العمل بالمال » قالت فيه :

« دفعت الحكومة أمس نصف المليون مع فوائده ونفقات القضية الى صندوق الدين عملا بحكم محكمة الاستئناف على أن تقترض حاجتها من انكلترا ٠٠٠ والمسألة كبيرة وخطيرة يجدر بكل حر أن يمعن النظر فيها لأنها ميزان السياسة المصرية ٠٠٠ ويظن البعض أن حل المسألة المصرية يتوقف على صندوق الدين ٠٠٠ وعندنا أنه وان تكن هذه القضية من أكبر مسائل القطر المصرى فهى لا تؤثر على زمن الجلاء ولا تطيل مدة الاحتلال ٠٠٠ ثبت اذا أن أخذ المال من انجلترا لا يخلو من الضرر فنحن نتقدم الى اظهار الضرر الذى ينشأ عن أخذ المال من ايرادات الحكومة المصرية ومن أظهرنا بعضه ووصفنا الضنك والضيق اللذين يصل اليهما العمال وعائلاتهم اذا أقرت الحكومة على التقتير والاقتصاد من رواتبهم » (٢) ٠

واذا كانت جريدة « مصر » قد ربطت بين حكم الاستئناف فى

---

(١) جريدة « المقطم » ـ ٦ ديسمبر ١٨٩٦ ٠

(٢) جريدة « مصر » ـ ٧ ديسمبر ١٨٩٦ ٠

قضية صندوق الدين وما يترتب عليه من نتائج اقتصادية تصل الى حد خفض رواتب العمال . فانها أيضا ربطت بين ذلك وبين ماينعكس على جنود الحملة وفرض التقشف عليهم الى حد نقص الأطباء اللازمين لمواجهة وباء الكوليرا . وقالت تحت عنوان « سياسة انكلترا فى السودان » :

« ويسوءنا جدا أن نذكر أن نصف المليون لم يكف لهذه الحملة وأن ذلك أدى الى خلل هائل وظلم معيب فقد اضطر أولياء الأمر الى التقتير على الجنود فى مأكلهم وملابسهم وفى تقييد الأطباء وارسال الأدوية الكافية لهم حتى أنه لما دهمتهم الكوليرا مع الارزاء الجوية الأخرى لم يكف الأطباء لمعالجتهم » (١) .

ولابد هنا من أن نسجل أن الحملة الصحفية التى شننها جريدة « مصر » على حكم الاستئناف فى قضية صندوق الدين ، وعلى المحاكم المختلطة ذاتها ، قد تضمنت نصوصا صريحة ضد انجلترا ، وان جريدة « مصر » أشارت أكثر من مرة الى أن هدفها من وراء هذه الحملة الصحفية هو مصلحة الوطن وليس هدفها الدفاع عن مصالح الاستعمار :

« فلا نحن نريد الفوز لفرنسا على انكلترا ولا نتمنى النصر لانكلترا على فرنسا وليست غايتنا القصوى منفعة الأوربيين من أصحاب الدين المصرى وسواء عندنا سر المحتلون لهذا الخبر أو غضبوا وارتاح المتشيعون لفرنسا الى هذا الحكم أو حزنوا فانما نحن مصريون نهتم على قدر ما يهم المصريين وهذا هو السبب فى أسفنا وكدرنا الشديد » (٢) .

---

(١) جريدة « مصر » ـ ١٢ ديسمبر ١٨٩٦ .

(٢) نفس المرجع ـ ٤ ديسمبر ١٨٩٦ .

كما لجأت جريدة « مصر » الى التعليق على ما ينشر فى صحف انجلترا وما يأتى من أنباء مؤكدة هذا الموقف :

« ذكرت جرائد انكلترا أن حساب هذه الحملة أرسل الى وزارة الحربية الانكليزية كأنما الحملة انكليزية محصنة وحسابها يقدم الى انكلترا لا الى مصر » (١) ٠

ورغم أن موضوع القضية حسم من الناحية القانونية برد الحكومة المصرية المال الى صندوق الدين ، الا أن استدانة المال من انجلترا كان له نتائج سياسية استمر تأثيرها الى ما بعد سقوط عاصمة المهدية فى أم درمان ، وانعكست على اتفاقية الحكم الثنائى ٠

وبالتالى فقد ظل الأمر حيا على صفحات الصحف المصرية التى كانت كثيرا ما تلجأ الى اثارته فى كل مناسبة ٠ وحتى عندما أثير موضوع ادارة السودان عكست الصحف المصرية وجهات النظر المتعددة مستخدمة موضوع التمويل ومشيرة الى موقفها منه ومسترجعة بعض ما نشرته عنه ٠ وفى ذلك قالت المؤيد :

« كنا أول المعارضين لتجريد الحملات المصرية فى أوائل سنة ١٨٩٦ لا لكراهية اعادة السودان الى حكم مصر ولكن لأن صدور الأمر من لندرة مباشرة بالاستعداد لمهاجمة الدراويش تحت امرة الضباط الانكليز وباشتراك النفر القليل من عساكرهم ولا عوز من المال مما اضطرنا فيما بعد الى الاقتراض من الانكليز » (٢) ٠

كما استخدمت جريدة « المقطم » ذات الوقائع استخداما يخدم اتجاهاتها وأهدافها :

---

(١) نفس المرجع ــ ٧ ديسمبر ١٨٩٦ ٠
(٢) جريدة « المؤيد » ــ ٧ يناير ١٨٩٦

« ... ان مصر فتحت بعض أقاليم السودان فى عهد محمد على الكبير ثم أتمت فتح الباقى فى عهد اسماعيل باشا حتى صارت صاحبة النيل كله من سواحل البحر المتوسط الى خط الاستواء . ولما شق المهدى عصا طاعتها حاربها وغلبها وأخرجها من السودان قوة واقتدارا فتخلت عن السودان حينا ولكنها لم تتخل عن حقوقها عليه يوما بل ترقبت الفرص حتى أنجدتها انكلترا بالمال والرجال .. » (١)

واذا كان حديث « المقطم » عن المال والرجال يهدف الى تأكيد حق بريطانيا فى حكم السودان ـ فان الحديث عن عدم تخلى مصر عن حقوقها هناك لم يكن لاثبات حق مصر ، ولكن « المقطم » هدف به الرد على ما أثير حول الملك المباح **Res Nullius** فى السودان ، وهو ما كان يشكل المحور السياسى لأزمة فاشودة .

ولم تحتدم المعركة الصحفية بين مؤيدى السلطات الانجليزية فى مصر ومعارضيها مثلما حدث خلال أزمة فاشودة . لقد بذلت الصحف كل جهدها للتأثير على الرأى العام المصرى ، الذى كان قوة ضغط لا يمكن تجاهلها .

وكان من الطبيعى أن تثير الصحف اليومية المصرية المناوئة للاستعمار حملة كبيرة على الانجليز بسبب فاشودة . وقد اشتركت الصحف المصرية التى كانت تصدر باللغة الفرنسية فى هذه الحملة ، ومنها جريدة « لوكورييه دو أوريانت » وجريدة « ايكو دو أوريانت » .

واستندت هذه الصحف فى حملتها ضد الانجليز الى اعتبارهم من الدخلاء الذين لا يحق لهم مطالبة الفرنسيين برفع أيديهم عن

---

(١) جريدة « المقطم » ـ ٣٠ يناير ١٨٩٦ .

وادى النيل كما دافعوا عن الوجود الفرنسى فى أعالى النيل رغم أنهم لم يعترفوا بما ينادى به الفرنسيون باعتبار السودان ملكا مباحا Res Nallius ولم تنف هذه الصحف حقـــوق مصر وتركيا فى السودان (١) ٠

وكان من الطبيعي أيضا أن تتصدى صحيفة « المقطم » لهذه الحملات وأن تستند فى ذلك الى أن مصر لم تفقد حقوقها في السودان خلال ثورة المهـــدى ، وبالتالى فليس الســـودان ملكا مباحا يمكن للفرنسيين غزوه ٠ وحاولت « المقطم » كذلك ألا تتورط فى تعارض بين ذلك وبين حق الانجليز فى المشاركة بالادارة فى السودان بعد ما بذلوه من مال وما قدموه من رجال ٠

واذا كانت جريدة « المقطم » قد استمرت فى تأييدها المطلق للانجليز ، فقد كانت الصحف المعارضة تدافع عن وجهة نظر كل من فرنسا والخديو فى وقت واحد ٠ وفى الواقع لم يكن ثمة تعارض بين الموقفين ، حيث كان الخـديو يتطلع الى الاسـتقلال ، بينمـــا السياسة الفرنسية تعمل على دعم هذه الحركة الاستقلالية (٢) ٠ وقد كانت فرنسا تتطلع الى مصالحها الاســـــتعمارية فى القارة الافريقية بعد أن ظهر الحزب الاستعمارى فى باريس سنة ١٨٩٥ ونشط أعضاءه من أجل خلق مجالات اقتصادية لفرنسا فى القارة الافريقية وأيدهم في ذلك رجال البعثات الدينية والدوائر العسكرية والبحرية ، خاصة أن فرنسا كانت تعد القوة البحرية الثانية فى العالم حتى بداية القرن العشرين (٣) ٠

وقد كان الخديو عباس حلمى الثانى ـ وحـــتى انتهاء أزمة فاشودة ـ واقعا تحت التأثير الفرنسى ، وكان يرى فرنسا صديقا

---

(١) محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٥٣٣ ـ ٥٣٤ ٠

(٢) Cromer : Modern Egypt, V.I., p. 340.

(٣) جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٦٦٣ ـ ٦٦٥ ٠

مخلصا لمصر . وأنها قادرة على ممارسة الضغط على انجلترا وتزعم التيار الأوربى المعارض للتوسعات الانجليزية والذى تأكدت قوته خلال نظر قضية صندوق الدين أمام المحاكم المختلطة .

ولم يكتف الخديو بموقف المتفرج أو الراضى عن النشاط الفرنسى المضاد للتوسعات الانجليزية ، بل انه عمل على تحقيق الاتصال المستمر بالفرنسيين والتنسيق معهم أثناء زياراته لأوربا وأيضا من خلال خمسة من الفرنسيين أحاط الخديو نفسه بهم ووصفهم بأنهم جندوا أنفسهم لخدمة مصلحة مصر وحدها ، وأنه استطاع بواسطتهم اطلاع رجال السياسة الفرنسيين على الحركة الاستقلالية المصرية وكسب حماسهم لها (١) .

والذى يهمنا من هذا هو تأكيد الصلة ـ غير المباشرة ـ بين جريدة « المؤيد » والفرنسيين من خلال صلة الخديو بكل منهما ، لتبقى « المؤيد » معبرة عن وجهة النظر الفرنسية الخديوية بشأن فاشودة بينما « المقطم » هى جريدة السلطة الانجليزية .

واذا كانت صلة « المقطم » بالانجليز قد ظلت واضحة وعلنية ، فان الأمر كان يختلف بالنسبة لعلاقة « المؤيد » بالفرنسيين ، والتى انتهت بنهاية مسألة فاشودة . وقد كان الخديو يلتقى سرا ببعض السياسيين الفرنسيين أثناء وجوده فى أوربا ، وقد أخطروه بعزم فرنسا احتلال بحر الغزال أثناء اجتماعهم به سرا فى مطعم ببلدة نيون السويسرية أثناء رحلة استشفاء الخديو فى ديفون (٢) .

وما من شك فى أن الخديو كان يدعم الموقف الذى اتخذته

---

(١) مذكرات الخديو عباس حلمى الثانى ـ جريدة « المصرى » ـ ٨ مايو ١٩٥١ .

(٢) أحمد شفيق باشا : مرجع سابق ، ص ٢٨٨ .

جريدة « المؤيد » من مسألة فاشودة ، خاصة أن الحملة الصحفية التى فجرتها ضد الانجليز خلال هذه الفترة جعلت المسئولين المصريين يشعرون أن الأزمة بين فرنسا وانجلترا بسبب فاشودة ستنتهى الى ايجاد حل للمسألة المصرية يحقق استقلال مصر ٠ وكانت تلك الحملة الصحفية هى التى حملت المسئولين المصريين على هـــــذا الاعتقاد (١) ٠

ومما يؤكد علم الخديو المسبق بالنوايا الفرنســـية ، ويؤكد أيضا استخدامه جريدة « المؤيد » فى التبشير بالزحف الفرنسى الى أعالى النيـــل ، ما كان ينشر فى « المؤيـــد » قبـــل أن يتحرك جيش السردار الى عاصمة الدراويش بما يقرب من عام كامل ٠ ولقد كانت جريدة « المؤيد » تبشر بوصول الفرنسيين الى فاشودة قبل أن يصل مارشان الى هناك بشهور طويلة ، فقد كلف وزير المستعمرات الفرنسى الكابتن مارشان بقيادة الحمـــلة فى فبراير ١٨٩٦ ، بينما وصل هو الى فاشودة فى يولية ١٨٩٨ (٢) ٠

وقد ربطت جريدة « المؤيد » بين أمر البعثة الفرنسية ـ التى كانت تبشر بوصولها الى فاشودة ـ وبين موقف انجلترا فى تونس باعتباره طريقا للتفاوض بين الفرنسيين والانجليز قد ينتهى الى نوع من الوفاق أو الاتفاق يتحقق لمصر من الفوز بالاستقلال ٠

وتحت عنوان « مسائل وادى النيل » قالت جريدة « المؤيد » فى مقال طويل نشرته على صفحتها الأولى :

« يقول الثقات من الناس أن انكلترا ما رضيت أن تتنازل عن دعواها فى تونس الا لتمهد طريق الكلام والمناقشة فى مسائل

---

(١) محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥ ٠

(٢) احمد شفيق باشا : مرجع سابق ، ص ٢٩٠ ٠
Steevens, G. W. : op. cit., p. 14.

غربى افريقيا ولم ترد هذا التمهيد الا لتضرب على مرامى فرنسا الاستعمارية دون جهات النيل الأعلى . ولقـــد أسلفنا أن مصدر الأحقاد السياسية والاستعمارية بحر الغزال ومظهرها نهر النيجر وبعض جهات افريقية الغربية ثم وافتنا الأخبار التلغرافية بنبأين مهمين يلتصقان بتلك المسائل الاستعمارية التى هى موضوع الجدال والمناقشة بين الدولتين . الأول أن وزير المستعمرات الفرنساوية فى خطبة ألقاها فى قاعدة السنغال قال أن السياسة الفرنساوية الاستعمارية مجدة فى انشاء مراكز ونقط متتابعة تصل بين ساحل افريقية الغربية وبين وادى النيل فالحبشة . وكلام وزير المستعمرات الفرنساوية فى مثل هذا المقام فوق كل كلام وأهم شىء فيه أنه لا ينطق بمثله الا بعد ضمان تنفيذه أو بعد تنفيذه بالفعل وفيه دليل على ان لم يكن الفرنسيون على بحر الغزال الآن فيوشك أن يكونوا .

وتصريح مسيو لبيون هذا دليل على أن الفرنساويين مدركون أمنيتهم هذه باطمئنان ان لم يكونوا أدركوها فعلا . أما النبأ الثانى فهو كما أخبرنا به روتر أمس من أن البارون دى كورسل سفير فرنسا فى لندرة باق سنة أخرى فى وظيفته الحالية نظرا لأهمية مسائل افريقية الغربية . ومن يعلم أن البارون دى كورسل قد لوحظ فى تعيينه يوم عهد اليه منصب السفارة فى لندرة أنه أقدر من غيره على حل مسائل النيل الأعلى ومصر وأنه ما عزم على الاستقالة فى العام الماضى الا لتوقعه عدم النجاح فى مأموريته الخاصة المندرجة فى وظيفته العامة يتحقق أن عزمه على البقاء فى وظيفته سنة أخرى لم يكن الا لانتظار نجاح بدت طلائعه الآن ولم يكن قبل بضعة أشهر فى الحسبان .. وكان لنا من مقدمات الحوادث أبين الآيات على أن ما يسعى وراءه سندركه بفضل الله وكل آت قريب » (١) .

---

(١) جريدة « المؤيد » ـ ٢٥ أكتوبر ١٨٩٧ .

وبقيت جريدة « المؤيد » تكرر العزف على هذا الوتر لتصبح النغمة السائدة فى مقالاتها هى التأكيد على أن التحرك الفرنسى يفتح طريق النجاح أمام الحركة الاستقلالية فى مصر . وقد سردت جريدة « مصر » معظم ما نشرته الصحف المصرية فى هذا الشـــأن ـ وحتى نهاية عام ١٨٩٧ ـ ضمن مقال شامل على صفحتها الأولى بعنوان « أوربا والسودان » وقد غلب على المقال تعاطف كاتبه مع الاتجاهات الانجليزية وان بدا ذلك من خـــلال اظهار الاهتمام بالمصالح المصرية فى السودان . وتحـــدثت جريدة « مصر » فى مقالها عن اهتمامات أوربا بالقارة الافريقية ومنابع النيل وقالت :

« ... هذه رحلات الأوربيين التى تقصد منابع النيل وتريد الوصول منها الى الخرطوم وما يليهـــا كثرت وكلها تروى عنها روايات الأهوال والمصائب والقتل والذبح وأولها بلجيكية قيل أنها قامت من بلاد الكونجو الى بحر الغزال وكانت وجهتها الخرطوم وجاء في بقية الأخبار أنها حاربت الدراويش وهزمتهم ثم تلا ذلك خبر تمرد العساكر الذين جردتهم حكومة الكونجو تحت قيادة البارون دانيس وفتكهم بالضباط البلجيكيين وظلمهم للأهالى الذين احتلوا بلادهم . وآخر ما ورد من أخبار هذه الحملة البلجيكية أن القواد تمكنوا من اخضاع العساكر الثائرين وعادوا الى كرامتهم السابقة بعد أن قتل من الجانبين خلق كثير . ولكن الأخبار لا تفيد شيئا يعول عليه عن علاقة هذه الحملة بالسودان المصرى والدراويش وقد كان فى الظن أنها وصلت الى بحر الغزال والتقت فى احدى الجهات به بالحملة الفرنسية التى سيجيء ذكرها ، فجاءت الأخبار الأخيرة بما ينفى ذلك ويترك الحملة البلجيكية فى الظلام . وهى على كل حال بعيدة الآن عن السودان المصرى وغاية ما يقال فيها أنها قريبة من حدوده القاصية حيث يرجح أن مصر لا تكلف نفسها الوصول مرة أخرى ولو أخضعت الخرطوم وما يليها لآن العبرة بفائدة الذى لا نملك

لا باتساعه ولا خير يرجى من بلاد بعيــــدة وراء بحر الغزال تكاد حاصلاتها وتجارتها لا تذكر ٠

٠٠٠ واشتهر بعد ذلك أن فى نية الفرنساويين ارسال حملة أو حملات من بلاد النيجر وأملاكهم الأخرى المجاورة لمصادر النيل يقصدون منها الوصول الى تلك المصادر ورفع العــلم الفرنساوى عليها والتقدم منها مع البلجيكيين الى بقية السودان المصرى حتى يملكوه قبل أن تصل الجيوش المصرية أو الانجليزية ٠ وقالوا ألف قول فى ذلك فأحست انجلترا بالعاقبة وأسرعت الى ارسال حملة من رجالها تبطل فعل الحملات الأخرى ٠

٠٠٠ كل هذا وفرنسا مهتمة كما قلنا بســـبق انجلترا الى وادى النيل وهى تأتى كل ما فى وسعها لاحراز النصيب الأوفر من تلك الأراضى ولمقاومة انجلترا في كل حركة تبديها ولاستخدام كل قوة تكره انجلترا عليها قلما أمرت الحكومة الانجليزية بتيسير الحملة الأولى من الحملات الأخيرة على السودان عارضتها وقاومتها وحاربتها بالسياسة والقضاء وحبست عنها المال من صندوق الدين بحكم صدر ظاهره لها ونتيجته لانجلترا من محاكم مصر المختلطة ٠ ولما رأت أن كل ذلك لا يجدى نفعا وأن السيف أصدق أنباء من الكتب بعثت بالحملات تقصد وادى بحر الغزال وهاتيك الانحـــاء ٠٠٠ وتتقدم من هنالك الى الخرطوم فترد الانجليز عنها أو تأخذها عنوة قبل أن يصلها الجيش الانجليزى والجيش المصرى ٠

وطار خبر هذه النية على لســـان البرق فلما قرأه السردار كتشنر باشا وهو بطل المعارك السودانية ضـــحك هازئا وقال لصديق كان الى جانبه آنه يسرنى كثيرا أن التقى بهم فى الخرطوم ٠ وقالت الجرائد الانجليزية أنه لا يبعد أن يلتقى الرجـــلان فى تلك المدينة حيث يكون الأمير الفرنساوى أسيرا فى يد الدراويش فينقذه القائد الانجليزى ٠

ولكن هذا كلهلم يفد غير أن حملة الماجور مارشان الفرنساوية نقدمت على مصادر النيل وحسبت انجلترا حسابا لتقدمها فأمرت بالاسراع فى فتح المواقع الســــودانية وأسرع الجيش المصرى فأخذ أبا حمد وبربر والدامر قبل أن يعلم عامة الناس في الأقطار بالذى تم في السودان وقبل أن يصل مكاتبو الجرائد الى المواقع الأمامية وهم عادة يتقــدمون بالصــفوف الأولى لارســال الأخبار المهمة الى جرائدهم حال وقوعها • فأستنتج أكثر الناس من هذه السرعة أن وراءها شيئا وقالوا ان الحمــــلة الفرنسوية صارت على مقربة من الخرطوم فلابد من وصول جيش الانجليز اليهــا مع الجيش المصرى قبل أن ترفع الراية الفرنساوية عليها أو على ما يقرب منها •

••• هذه كلها يظهر لك منها عظم مطامع الأوربيين وحركاتهم ونياتهم في السودان المصرى ولابد أن ترى منها أن الدول كلها تناظر انجلترا على امتلاك تلك الأراضى • ولا تعدها بلادا مصرية أو أنها تعترف أنها لمصر ولكنها تعد مصر انجلترا واحدا في سياستها الافريقية فهى تحاول سبق الدولتين الى السودان المصرى •

أما انجلترا فسياستها وأفعالها كلها تقول قولا واحدا وهو أن وادى النيل من نبعه الى مصـــــبه يجب أن يكون تحت السيادة الانجليزية أو ضمن دائرة النفوذ الانجليزى ولم نر الى الآن فوزا لغيرها فى هذه الدائرة فيغلب على الظن أن البلجيكيين والفرنساويين يعودون عنها وتظل تابعة لمصر تحت ارشاد انجلترا الى يوم حل المســألة المصرية فاذا لزم لفرنسا ترضــية حتى تســكت عن هذه التسوية فالأراضى الافريقية واسعة يمكن لانجلترا أن تسترضى من شاءت بشىء منها • ولا ريب أن تسابق الافرنج الى السودان دليل ثروته وغناه فعسى أن يكون خبر هذه المهمة الخارقة التى يبديها الغير داعيا الى تحريكنا واشتعال نار الهمة فى صدورنا » (١) •

---

(١) جريده « مصر » ـ ١٠ ديسمبر ١٨٩٧ •

وبينما نرى بوادر المعركة الصحفية الساخنة حول فاشودة وقد اتخذت أسلوب الاثارة منذ البداية ، نلاحظ حرص جريدة « المقطم » على التعرض للصراع الانجلوفرنسى فى افريقيا باعتباره أمرا غير ذى خطر وأنه بعيد عن كل ما يهدد بنشوب الحرب · كما هاجمت جريدة « المقطم » كل من يردد غير ذلك وقالت :

« أن من يمعن النظر قليلا لا يصدق أن دولتين عظيمتين مثل انكلترا وفرنسا تخاطران بوجودهما لتتحاربا على أرض قفراء فى غرب افريقيا أو فى بحر الغزال ·· » (١)

وربما يظهر هنا أن جريدة « المقطم » قد وقعت ـ ودون أن تدرى ـ فى مطب السياسة الفرنسية ، بينما كانت تهدف بمثل هذه الكلمات المهدئة الى التقليل من خطورة الصراع الانجلوفرنسى فى أعالى النيل والذى اعتبرته الصحف الأخرى مفتاح الحل للمسألة المصرية ، فقد كانت الصحف المناوئة للاحتلال البريطانى تبشر بقرب التفاوض بين الدولتين الكبيرتين لتجنب وقوع الحرب بينهما . ومن خلال هذه المفاوضات لابد للانجليز من التسليم بحق مصر الكامل فى السودان وتخليها عن فكرة الاشتراك معها فى حكم الأقاليم المسترجعة ، وبذلك تنتهى حقوق الفتح التى تستند اليها انجلترا ، لتتجنب بذلك الاعتراف بنظرية الملك المباح · فاذا كانت نظرية الملك المباح ستعطى للانجليز حق مشاركة مصر فى السودان باعتباره حقا يترتب على الفتح ، فان تلك النظرية أيضا تعطى فرنسا حق امتلاك الأراضى التى تصل اليها فى وادى النيل باعتبارها أيضا مناطق خاضعة لنظرية الملك المباح ·

ونرى هنا جريدة « المقطم » تتجنب الخوض فى تفاصيل الموقف ولكنها تردد الفكرة الفرنسية الخاصة بتحقيق تفاهم بين الدولتين

---

(١) جريدة « المقطم » ـ ٢٦ فبراير ١٨٩٨ ·

الكبيرتين من خلال المفاوضات وهذا ما قاله مارشان نفسه في مذكراته التي أعدها في نوفمبر ١٨٩٥ عن فكرة التحرك الفرنسي نحو أعالي النيل والتي قال فيها « ان انجلترا سوف تجد نفسها مرغمة على عقد مؤتمر أوربي لبحث مسألة وادي النيل بأكملها من أجل الوصول الى حل ودي لها » (١) .

وهذا أيضا ما أكده من قبل وزير خارجية فرنسا في ابريل ١٨٩٥ عندما قال في خطاب أمام مجلس الشيوخ : « تستطيع أمتان عظيمتان (انجلترا وفرنسا) العثور على الصيغة المناسبة التي يمكن بها التوفيق بين مصالحهما » (٢) . وهذا ما أكدته الوثائق حول ميل فرنسا الى الاتفاق مع الانجليز (٣) .

واذا كان موقف جريدة « المقطم » قد ظل غير واضح بالنسبه لمسألة فاشودة ولا سيما في الأيام الأولى للأزمة ، فاننا نجد الصحف المناوئة للاحتلال تتمتع خلال هذه الفترة برؤية جلية وملتزمة بخط واضح يدور حول محور رئيسي هو عدم أحقية انجلترا في مطالبة فرنسا بالانسحاب من أي أرض تصل اليها في أعالي النيل . وبقيت هذه هي النغمة الرئيسية تضرب عليها هذه الصحف (٤) .

ولم تكن صورة ما يجري في أعالي النيل قد اتضحت أمام الصحف المصرية الى أن سقطت عاصمة الدراويش في سبتمبر

---

(١) محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص ٥٢١ .

(٢) محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص ٥١٩ .

(٣) Shauky el Gamal : An Unpublished Document in the flistory of The Anglo-Frensh Competition for the Domination in Upper nile-African Studies Review, Cairo (1972) p. 19.

(٤) مرجع سابق ، ص ٥٢٣ .

١٨٩٨ ، بل ان الخديو عباس يؤكد فى مذكراته أن أحدا فى مصر لم يكن يعرف حقيقة تقدم بعثة مارشان بل ولا الانجليز أنفسهم ، وأنه وحده كان على علم بالأمر من خلال اتصالاته الفرنسية (١) ٠

وقد أكد الخديو صلته بالمؤيد ولكنه لم يصرح بما اذا كان قد أسر بأمر البعثة الفرنسية الى الشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » ، والذى كان يتزعم الترويج لنجاح البعثة الفرنسية قبل نجاحها فى الوصول الى فاشودة بحوالى تسعة أشهر ٠

وقد نسبت جريدة « المؤيد » أنباءها الى ما أسمته « المصادر الموثوق بها والدوائر الوطنية » ٠ وقالت :

يؤخذ من المصادر الموثوق بها أنه قد تأكد احتلال الحملات الفرنساوية لمدينة فاشودة ويؤكدون أيضا فى الدوائر الوطنية أن الفرنسيين يسيرون فى النيل نزولا بسرعة عظيمة وهذا هو الباعث الأصلى على قلق الدوائر العسكرية هنا ومشروعها فجأة فى استئناف الحركات الحربية ضد أم درمان » (٢) ٠

وقد أعادت « المؤيد » نشر هذا الخبر ضمن مقال نقلته عن مجلة المسائل السياسية والاستعمارية بباريس ، وقد نشرته مسلسلا على صفحاتها الأولى (٣) وقالت فيه :

« ٠٠٠ ولم يفوض الضابط مارشان الأمور للجزاف والصدفة بل استحضر معه كل ما يتخيل لزومه من الأدوات والآلات والذخائر والسلع والمؤونة ووضع ذلك فى صناديق وخزائن محكمة » (٤) ٠

---

(١) جريدة « المصرى » ـ ٨ مايو ١٩٥١ ـ مذكرات الخديو عباس حلمى الثانى ٠

(٢) جريدة « المؤيد » ـ ٣١ ديسمبر ١٨٩٧ وأول مارس ١٨٩٨

(٣) جريدة « المؤيد » ـ ٢٧ و ٢٨ فبراير و ١ و ٢ مارس ١٨٩٨ ٠

(٤) جريدة « المؤيد » ـ ٢٧ فبراير ١٨٩٨ ٠

كما أرجعت « المؤيد » أسباب مبادرة السردار بمهاجمة الأمير محمود عند العطبرة الى خوف الساسة الانجليز من تقدم الحملات الفرنسية الى النيل الأعلى ، وهو ما يتمشى مع الحقائق التاريخية . وعن ذلك قالت جريدة « المؤيد » فى صفحتها الأولى :

« ... ولعل وريقة جديدة طارت فى جو أوربا عن الحملات الفرنساوية على النيل الأعلى فخفق لها قلب الساسة العليا فى لندرة » (١) .

وظلت جريدة « المؤيد » تؤكد على مدى شهور طويلة نجاح مارشان ، وبقيت تعرض لنتائج هذا النجاح ، وتحلل هذه النتائج التى تهدد بنشوب حرب بين انجلترا وفرنسا (٢) . هذا بينما اتخذت جريدة « مصر » موقفا يشبه الى حد بعيد موقف جريدة « المقطم » .

وحرصت جريدة « مصر » على أفكار امكانية نجاح بعثة مارشان ، واعتمدت فى ذلك على الشائعات والاستنتاجات ، وقالت :

« استنتجنا أمس عن سكوت الجرائد الفرنساوية عن حملة المسيو مورشان بعد أن طنطنت أياما طوالا بوصولها الى فاشودة أن فى الأمر شيئا خفيا سيظهر وسرعان ما تحقق الظن فقد ورد فى الجرائد الأجنبية اليوم أنه قد شاع كثيرا فى الحبشة الشهر الماضى بأن هذه الحملة قد انحل عقدها وأن رجال المسيو مورشان تفرقوا عنه لعدم استطاعتهم تحمل المصاعب والمشاق بعد فأصبح الرجل طريدا وحيدا فى صحراء السودان وعادت انكلترا تخدمها

---

(١) جريدة « المؤيد » - أول مارس ١٨٩٨ .

(٢) جريدة « المؤيد » - ٣١ مارس ١٨٩٨ .

الظروف والحوادث فتهيىء لها التوفيق فى مشروعاتها عفوا من حيث لا تدرى ولا يكون فى الحسبان (١) ٠

غير أن هذه الكلمات يوم نشرت فى جريدة « مصر » كان السردار كتشنر قد أبلغ بالشائعات التى ترددت عن وصول الفرنسيين الى أقليم بحر الغزال ، ثم تأكد السردار من ذلك عندما عاد وابور الدراويش من هناك فى أعقاب اشتباك بينهم وبين رجال مارشان ليصل أم درمان طلبا لنجدة الخليفة فوجد هناك جيش كتشنر وقد استولى على عاصمتهم فقرر السردار التحرك فورا الى فاشودة (٢) ٠

ولم تستطع جريدة « المقطم » الاستمرار فى تجاهل الأمر أو التقليل من أهميته ، خاصة أن الصحف الأخرى أفردت صفحات كاملة للحديث عن المواجهة الانجلوفرنسية فى فاشودة ، كما أذاعت الحكومة المصرية خبرا رسميا عن تحرك السردار الى هناك ٠ الا أن الأسلوب الذى اتبعته جريدة « المقطم » كان يوحى بأن الاتفاق قد تم فعلا بين الدولتين وأن الأمر أصبح بين يدى انجلترا ٠ واستحسنت جريدة « المقطم » أسلوب اذاعة أخبار فاشودة رسميا وقالت :

« كثر القيل والقال منذ علم القراء من أخبار السودان أن جماعة من الفرنساويين احتلوا فاشودة على النيل فأحسن قلم المطبوعات المصرية صنعا بخبر نشره بناء على أخبار وردت من لندن

---

(١) جريدة « مصر » ـ ٣٠ أبريل ١٨٩٨ ٠

(٢) محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٥٢٣ ـ ٥٢٤ ٠

وكذلك على ابراهيم عبده : المنافسة الدولية فى أعالى النيل (القاهرة ١٩٥٨) ص ٢٦٩ ٠

ومن باريس وفحواه أن سفير بريطانيـا العظمى فى باريس وناظر خارجية فرنسا اجتمعا يوم الأربعاء الماضى ٧ ســـبتمبر فى نظارة الخارجية الفرنساوية واتفقا على مسألة فاشـــودة اتفاقا تاما • ثم أرسلت الحكومة الانكليزية الأوامر الى المسيو مرشان بهذا الخصوص، هذا ولا يخفى أن مسألة فاشودة هى الآن بين انكلترا وفرنسا فأى خبر رسمى من هذا القبيل لا يرد الا عن طريق الوكالة البريطانية أو الوكالة الفرنساوية •• » (١) •

وبينما ظلت جريدة « المقطم » تتوســـع فى نشر تفاصيل انتصارات أم درمان ، نجـــد جريدة « المؤيد » وقد انطلقت فى حملتها الصحفية التى لم تخل من نبرة التشفى فى الانجليز وفى دقة موقفهم ، واستخدمت « المؤيد » أنباء فاشودة بصورة تحجب تفاصيل معركة أم درمان ، بل وعمدت بصورة مباشرة الى التقليل من قيمة انتصار الجيش • ونقلت «المؤيد» مقالا نشرته « الاجبشيان جازيت » عن انتصارات السودان ونتائجها ومستقبل الانجليز فى القارة الافريقية ، ثم علقت عليه « المؤيد » قائلة :

« .ولكن اجبسيان غازيت كتبت هذا كله قبل أن تعلم باحتلال الفرنساويين لفاشودة ولا ندرى ماذا تقوله الآن » (٢) •

وقالت « المؤيد » فى نفس اليـــوم تحت عنوان « احتلال الفرنساويين فشودة : « أذاعت شركة روتر خبر اكتشاف حمـلة الجنرال مرشان الفرنساوى محتلة فاشودة وهو أهم خبر جاء من

---

(١) جريدة « المقطم » ــ ١٢ سبتمبر ١٨٩٨ •

(٢) جريدة « المؤيد » ــ ١١ سبتمبر ١٨٩٨ •

السودان عقب خبر واقعة أم درمان بل هو عند الفرنساويين يساوى افتتاح الخرطوم عند الانكليز • وبقدر أهميته عند الفرنساويين نجاحا يعتبر عند الانكليز خيبة وفشلا » (١) •

وواصلت « المؤيد » حملتها لعدة أيام متتالية ، وأفردت فى اليوم التالى معظم صفحتها الأولى لمقال بعنوان « الفرنساويون فى فاشودة ــ بقلم ذى علم واسع وخبرة تامة بالسودان » عرضت فيه وصفا جغرافيا للمنطقة وأهميتها الاستراتيجية ومجالات التقدم منها نحو النيل الأزرق فضلا عن موقف الفرنسيين فى هذه المنطقة أمام أية توسعات انجليزية ، وأنهت مقالها قائلة :

« ••• اذ لا يمكن للنفوذ الانكليزى أن يتخطى بعد ذلك أوجنده شمالا ولا الخرطوم جنوبا وهو منتهى الفشل للسياسة البريطانية فى أفريقية » (٢) •

وسارت جريدة « الأخبار » على نفس النهج ونشرت سلسلة مقالات بعنوان ثابت « الفرنساويون فى فاشودة ردت فيه ما يشاع عن نية السردار مقاتلة الفرنسيين ، وقالت :

« يقولون أن بيد السردار الأوامر المطلقة من انكلترا بأن يقبض على الفرنساويين اذا وجدهم هناك واذا قاوموه يقاتلهم ولكن هذا القول لا نصدقه تماما لأن الانكليز لا يعادون الفرنساويين بدون حساب ولا يعزمون الحرب المخيفة بدون ترو ولا سيما لأن الحملة الفرنساوية مؤلفة من ضباط عاملين فى الجيش الفرنساوى • وقد طالما قلنا ان الفرنساويين فى أعالى النيل وان فاشودة لا تخلو من الأجانب فكذبنا القائمون بدعوة الانكليز كأن انكار الحقيقة هو الخدمة التى يخدمونها » (٣) •

---

(١) جريدة « المؤيد » ــ ١١ سبتمبر ١٨٩٨ •
(٢) جريدة « المؤيد » ــ ١٢ سبتمبر ١٨٩٨ •
(٣) جريدة « الأخبار » ــ ١٠ سبتمبر ١٨٩٨ •

وكذلك ربطت جريدة « الأخبار » بين مسالة فاشــودة وبين امكانية الوصول الى حل للمسألة المصرية من خـــلال المفاوضات المتوقعة بين انجلترا وفرنسا « ولابد أن تربح منها مصر شيئا يفيد استقلالها وبيان حالتها جليا » (١) ٠

وعند استعراض الصحف المصرية خلال الأيام التى تلت سفر السردار الى فاشودة وقبيل وصوله الى هناك ، نجد جريدة « المقطم » تنفرد بعرضها السطحى للأمر ومحاولة الاستمرار فى التقليل من أهميته مع الايهام بوجود اتفـــاق بين الدولتين ٠ وتتشابه سائر الصحف الأخرى فى أسلوب المعالجة وربط مسألة فاشودة بالمسألة المصرية ، ويتضح ذلك فى تناول الصحف لخبر سفر السردار الى فاشودة والذى نشرته جريدة « المقطم » بطريقتها دون أن تتمكن من تجاهل الخطر المتوقع ، وتقول عن فاشودة :

« السردار يصل اليها اليـــوم أو غدا بأورطة من العساكر الانكليزية وبعض المدفعيات والمدافع ليرفع عليهـــا الراية المصرية والراية الانكليزية ويترك فيها الحامية ثم يعود الى الخرطوم ٠ كل ذلك معلوم ولم يكن ليستحق الاهتمام لولا وجود حملة مارشان فى فاشودة » (٢) ٠

ثم عادت فى اليوم التالى تقول تحت عنوان « فشودة » :

« لابد أن يكون السردار قد بلغ فشودة أمس أو اليوم وقد علم القراء مما ذكرناه قبلا ما نخشى وقوعه عند التقـــائه بمرشان ورفاقه فيها ٠ ولما كانت هذه المسألة أهم شاغل لأرباب السـياسة اليوم وكانت أبصار أوربا شاخصة اليها من كل حدب وصوب ٠٠

---

(١) جريدة « الأخبار » ١٢ سبتمبر ١٨٩٨ ٠

(٢) جريدة « المقطم » ــ ١٩ سبتمبر ١٨٩٨ ٠

تقول ان أنباء فرنسا بشرتنا بأن وصول مارشان الى فاشودة غير ثابت رسميا بل ان خبر وصوله اليها يعد خبرا وهميا وأن جرائد فرنسا الشبيهة بالرسمية تقول ان فرنســـا وانكلترا اتفقتا على مسألة فاشودة » (١) ٠

وتجاهلت جريدة « المقطم » التعليق على خبر عودة الصحفيين المرافقين للحملة الى القاهرة ، بينما اعتبرته جريدة « مصر » اجراء طبيعيا ترتب تلقائيا على انتهاء المعارك الحربية بسـقوط عاصـمة المهدية فى يد الجيش وبالتالى انتهت مهمة المراسلين الذين رافقوا الجيش لنقل أنبائه ووصف المعارك التى يخوضـها غير أن جريدة « المؤيد » التى نشرت الخبر ضمن الأنباء المحلية عادت فى اليـــوم التالى الى التعليق عليه (٢) ، واعتبرت « المؤيد » ذلك دليلا على عزم السردار محاربة الفرنسيين فى فاشودة وقالت :

« لا شاغل للجرائد الانكليزية فى هذه الأيام غير ما اتصل بها أخيرا من وجود حملة مرشان فى فشودة ٠ ويظهر من عبارتها المختلفة أن فى عزم الحكومة الانكليزية استئصال هذا العائق المنيع غير ملتفتة الى ما يعقب ذلك من تكدير العلائق بينها وبين جارتهـا فرنسا ٠٠ ولا يستبعد أن تكون الحكومة الانكليزية أصدرت أوامرها بمتابعة السير زحفا على فشودة لاخراج الفرنساويين منها كما شاع ذلك فى الأيام الأخيرة حتى أن سعادة السردار اضـــطر الى الزام مكاتبى الجرائد الانكليزية الذين كانوا مرافقين للحملة بالعودة الى القاهرة وهذا ولا شك هو السبب فى وصولهم اليها كرة واحدة ٠

ويظهر أن هاته الدعوة وقعت موقعا سيئا لدى أولئك المكاتبين فتذمروا من سعادة السردار وبعث أحدهم وهو مكاتب شركة روتر

---

(١) جريدة « المقطم » ـ ٢٠ سبتمبر ١٨٩٨ ٠

(٢) الجرائد : « المقطم » ، « مصر » ، « المؤيد » ـ ١٨ سبتمبر ١٨٩٨ ٠

تلغرافا الى ادارة الشركة قال فيه : « يمتنع سعادة السردار من التصريح لمكاتبى الجرائد الانكليزية بالذهاب الى فشودة للوقوف على حقيقة الأحوال فيها بل أصدر أوامره اليهم بالسفر غدا الى مصر القاهرة وقد قدمت اليه عريضة ألح عليه فيهـــا أن يمنحنى اذن بالتوجه وحدى الى فشودة فأبى فعندئذ رجوت منه أن يســمح لى بالتوجه الى كسلا ومنها الى سواكن فامتنع أيضا » (١) ٠

وقد أرسل الخديو برقية من أوربا ـ حيث كان فى رحـــلة استشفاء ـ يطلب فيها من وزرائه التمسك بحقوق مصر فى وادى النيل (٢) ، وانفردت جريدة « المؤيد » بالاشارة الى ذلك ونشرت نبأ اجتماع النظار المصريين دون أن تذكر مصدر الخبر ، وقالت :

« يقال أن الجنـــاب العالى الخـديوى بعث لحكومتـه بأوامر تلغرافية من أوربا فيما يختص بالأحوال الحاضرة فاجتمع النظـــار الثلاثة أمس طويلا ٠٠ أن موضوع هــذه التلغرافات والاجتماعات والمقابلات بلاغ انجلترا لخارجية مصر وأمر الفرنساويين فى فاشودة اذ من واجبات الحكومة المصرية أن تقر على الأمرين معا وأنها كما تنــكر على الفرنساويين حق احتــلالها أعالى النيــل تنكر على انكلترا دعواها أنها صارت صاحبة حقوق جديدة فى السودان » (٣) ٠

وقد أجمعت الصحف المصرية على احتمال وصول السردار الى فاشودة خلال يومى ٢٠ أو ٢١ سبتمبر ، وبالفعل تحقق ذلك ، غير أن الصحف تأخرت فى نشر ما دار هناك ، بل أن تفاصيل ما حدث بين السردار ومارشان تأخر نشره الى ما بعد صدور الكتاب الأزرق البريطانى الذى تضمن معظم وثائق هذه المسألة ، وما تلا ذلك من

---

(١) جريدة « المؤيد » ـ ١٩ سبتمبر ١٨٩٨ ٠

(٢) أحمد شفيق باشا : مرجع سابق ، ص ٢٩٠ ٠

(٣) جريدة « المؤيد » ـ ١٩ سبتمبر ١٨٩٨ ٠

صدور كتابين فرنسيين عن المراسلات المتبادلة بين انجلترا وفرنسا فى هذا الشأن (١) ٠

ومضت عدة أيام لم تتلق خلالها الصحف أية أنباء عما يجرى فى فاشودة خاصة وأن السردار رفض أن يصحب معه أحد من الصحفيين أو أن يصرح لأحد منهم بالسفر الى فاشودة ، كما لم تتسرب عن الدوائر الرسمية سواء فى القاهرة أو لندن أية أنباء عن البرقيات التى أرسلها السردار والتى تضمنت تفاصيل الموقف فى فاشودة (٢) ، الى أن ظهرت هذه البرقيات فى الكتاب الأزرق الذى أصدرته الحكومة الانكليزية ٠ وقبل صدور الكتاب الأزرق ظلت الصحف المصرية تزخر بالمقالات المترجمة عن الصحف الأوربية والتى لم تتضمن فى سردها أو تحليلاتها الجديد وان حرصت كل صحيفة على أن تتخير من مقالات الصحف الأوربية ما يخدم اتجاهاتها ٠

وقد بدأت الأزمة الحادة بين الدولتين بوصول السردار كتشنر الى فاشودة ورفع العلمين المصرى والانجليزى على مسافة تبعد نحو مائتى ياردة عن العلم الفرنسى يوم ٢٢ سبتمبر ١٨٩٨ ثم أرسل السردار برقيتين الى رنيل رود فى القاهرة تتضمن كافة التفاصيل (٣) ٠

وظلت الصحف المصرية مستمرة فى حملتها الصحفية ضد التكالب الأوربى على أملاك مصر ، وقد اتخذ ذلك شكل الهجوم على

---

(١) جريدتى « المؤيد » ، « المقطم » ـ ١٨ و ٢٢ اكتوبر وأول نوفمبر ١٨٩٨ ٠

(٢) محمد فؤاد شكرى : نصوص وثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٨ ٠ وعلى ابراهيم عبده : مرجع سابق ، ص ٢٧٠ ٠

(٣) محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ، ص ٥١٨ ، ٥٣٠ ٠

الانجليز فى الصحف المناوئة للاستعمار ، بينما رأيناه هجوما على الفرنسيين فى الصحف الموالية للاستعمار • وظل ذلك الى أن بدأت أنباء ما دار فى فاشودة تصل الى الصحف ، التى نشرت مقالا مطولا ضمنته تعليقها ، كما نشرت فى نفس اليوم خبر ما دار فى فاشودة وقد نسبته الى مراسلها فى الاسكندرية :

« الاسكندرية فى ٢٥ منه لمكاتبنا : كتشنر ومارشان بفشودة ـ أهم ما تلقيته اليوم نبأ وصول سعادة السردار كتشنر باشا الى فشودة ومقابلته لمرشان وجنوده التى احتلتها باسم حكومة الجمهورية الفرنساوية وانى وان آكن قد تناولت هذا الخبر من مصدر شبيه بالرسمي ولكنى أنشره بالتحرز خيفة أن يكون بغير نصه وان يكن معناه مطابقا للحقيقة التى أكدها لى مخبرى الكريم • قال ولما تقابل سعادة السردار بجناب القائد مارشان سأله لماذا هو مخيم مع جنوده فى تلك البلاد المصرية رافعا العلم الفرنساوى عليها أجابه : انى أحتلها باسم حكومة الجمهورية الفرنساوية وواجب أن أحافظ على ما صار ملكا لها ولما سأله السردار أن ينزل العلم الفرنسى عن أرض ليست لفرنسا بل هى لمصر والحكومة العثمانية صاحبة السيادة عليها أبى عليه ذلك محتجا بأنه ليس فى استطاعته اجابته لما طلب ولكنه سيخابر الحكومة الفرنساوية ويعمل بما تأمره به ولما رأى سعادة السردار أنه غير مأمور باجراء شىء غير هذا رفع العلم المصرى على أرض فشودة تجاه الفرنساويين ووضع حامية من جنوده وكر راجعا الى أم درمان ومنها بعث اشارة برقية للحكومة المصرية بما تم وكان • ومنذ الآن ستكون المخابرات بين حكومتى مصر وفرنسا طويلة الذيول وتكون قاعدة ادارتها مدينة لندرة صاحبة الحق الأول المزعوم على السودان » (٢) •

---

(١) جريدة « المؤيد » و « المقطم » و « مصر » ـ ٢٤ و ٢٦ سبتمبر ١٨٩٨ •

(٢) جريدة « المؤيد » ـ ٢٦ سبتمبر ١٨٩٨ •

وقد كان الخبر الذى نشرته جريدة « المؤيـــد » مطابقا لكل الحقائق التى وردت فى سائر المصادر والمراجع التاريخية (١) ، وقد نشرته « المؤيد » بلا تعليق بينما جاء تعليقها ضـــمن المقال الذى نشرته فى نفس اليوم على صفحتها الأولى تحت عنوان « ثلاث رايات فى فشودة » والتى ربطت فيـــه بين الموقف الانجليزى فى وادى النيل وموقف فرنسا فى فاشودة ، وأشادت بحمـــلة مارشان وشجاعته ، وان ظلت تؤكد على حق مصر الشرعى فى وادى النيل ، وقالت جريدة « المؤيد » فى مقالها :

« فى فاشودة الآن ثلاث رايات لا رايتان كما هو الشأن فى الخرطـوم • والقراء يعلمون أن أحق تلك الرايات بالاحتـــرام فى خفوقها على معالم فشودة انما هى راية مصر العثمـــانية وان يكن ساقها أصبح أدق السوق وعنق ساريتها أوهن الأعناق بما فعل الطمع الأشعبى من قوم يزعمون أنهم يذودون عن حوضـــنا وهم يهدمونه بأيديهم ••• بل ان الواقفين على دقائق السياسة يعتقدون أن الانجليز لم يرفعوا الراية المصرية بجانب الراية الانكليزية على معالم أم درمان والخرطوم الا لأنهم كانوا فى ريب من خلو فاشودة عن المنافس المزاحم بسبب ما كان يشيع عن مرشان وحملته ولو أنهم أحكموا سياستهم مع هـذا لأرجأوا رفع الراية البريطانية بجانب الراية المصرية على الخرطوم أو أم درمان حتى يتبينوا أن كان مرشان قد سبقهم الى فشودة أولا • اذ يكون الاحتجاج بعدئذ باسم مصر أقوى وأشد أما الآن وقد سمعت فرنسا أن انكلترا رفعت رايتها فى السودان بصفة أنها صارت صاحبة الحق الأول بما أنفقت من

---

(١) محمد فؤاد شكرى : نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر ص ٣١٦ ــ ٣١٨ • ونفس المؤلف : مصر والسودان ، ص ٥٢٩ ــ ٥٣٠ •

وجريدة « المصرى » ــ مذكرات الخديو عباس حلمى الثانى ــ ٨ مايو ١٩٥١، ومكى شبيكة : مرجع سابق ــ ص ٤٥٠ ــ ٤٥١ •

مال ورجال في سبيل الوصول الى الخرطوم فلها أن تقول وآنا أيضا رفعت رايتي على فشودة بعدما أنفقت وعانيت أصعب المشاق في سبيل الوصول اليها فالذى جعل لك حق الحكم ورفع الراية على الخرطوم جعل لى مثله على فشودة ٠ والحق يقال أن انكلترا كانت السابقة الى امتهان حقوق مصر الشرعية فحجتها بعد اليوم بالدفاع عنها في وجعة خصم يزاحمها وهو لا يجهل شيئا من أعمالها في مصر أولا والسودان ثانيا حجـة واهنة وضـعيفة وأن الشرف العسكرى الذى أحرزه كتشنر باشا في مصارعة الدراويش الهمج حتى نال الانتصار عليهم ليس بأعظم من ذلك الشرف الذى ناله الجنرال مرشان في تغلبه على العقبات الجسام التى ذللها في طريقه منذ رحل بحملته الصغيرة من السنغال الى بلاد الكنغو الفرنساويه وفي نهرها صاعدا الى ملتقى الأوبنجي وبعده برا يحمـل شظايا سفينة على أكتاف الرجال الى بحر الغزال حيث ركبها وسار عليها على النيل الأبيض حتى وصل الى فشودة » (١) ٠

ويتبين لنا من متابعة ما نشر عن أحداث فاشودة ، رغم عدم اختلاف الحقائق ، أن الصحف عرضتها بأساليب مختلفة وشـكلت الحقائق بصورة تخدم اتجاهاتها السياسـية ٠ وبرز ذلك أيضا في عرضها للوثائق الرسمية التى نشرتها الحكومتان الفرنسـية والانجليزية ، حيث بدأت الصحف المصرية في نشر ما احتـواه الكتاب الأزرق الذى تضمن وثائق اللقاء بين كتشنر ومارشان في فاشودة ٠ ورغم أن كل ما تضـمنه الكتاب من الوثائق الرسمية والحقائق المجردة ، الا أن تناول الصحف لهذه الحقائق أضفى عليها ألوانا متباينة ، تختلف باختلاف كل صحيفة ، وقد ساهم ذلك أيضا في كشف بعض الحقائق التى حرص كل جانب على تجاهلها ٠

---

(١) جريدة « المؤيد » ـ ٢٦ سبتمبر ١٨٩٨ ٠

ولقد اختارت جريدة « المقطم » من الوثائق ما يخدم اتجاهها في التقليل من شأن حملة مارشان والاشارة الى سوء حالتها ـ وهذا ما أكدته الوثائق (١) وذهبت « المقطم » الى التأكيد على أن بقاءها في فاشودة كان مرجعه أن السكان من قبائل الشلك كانوا يظنونها من الانجليز · وتحت عنوان « السردار ومرشـــــان قالت جريدة « المقطم » :

« نشرت الحكومة الانكليزية كتابا أزرق يحتـــوى على تقرير السردار عن مقابلته مرشان فى فشودة وقد جاء فيه أنه وصل فى ٨ الجارى الى مسافة ١٢ ميلا عن فاشودة شمالا فوافاه اليها عم ملك الشلك ونجله وشقيقه وأخبروه أن فصيلة من الجنـــــود الانجليز والمصرية وصلت الى فشودة من جهات الغرب ولكنهم لم يعـــلموا شيئا يذكر عنها لأنها لا تعرف لغة الشلك ولم تحضر معها ترجمانا يترجم » (٢) ·

ومنذ بدأت السلطات الانجليزية فى نشر هـــذه الوثائق فى سلسلة الكتاب الأزرق ، حرصت جريدة « المؤيد » على عرض وجهة النظر الفرنسية بجانب ما تنقله عن الكتاب الأزرق وانفردت بنشر الوثائق الفرنسية التى صدرت فى الكتاب الأصفر الفرنسى ، كما حرصت على النقل عن الصحف الفرنسية تحت عنـــــوان « آراء الجرائد الفرنساوية فى الكتـــاب الأزرق » ونشرت ما تدحض به مطالب الانجليز فى وادى النيل وقالت :

« الذى نستخرجه من الكتاب الأزرق فى الظروف الراهنـــة أمران هما من الأهمية بمكان أولهما أن انكلترا لاتستند في مدعياتها ومزاعمها بشأن فشودة على حقوق للخديوية أو السلطنة كانت ميتة

---

(١) Shawky El Gamal : op. cit., p. 18.

(٢) جريدة « المقطم » ـ أول نوفمبر ١٨٩٨ ·

فأحياها الانتصار في موقعة أم درمان ٠٠ وجاء في جريدة « الاكلير » يبقى على الانكليز أن يثبتوا ما لهم من الحقـــوق على فشودة ونحن بانتظار بلوغهم هذه الغاية نــــادى بوجوب المحافظة على حقوقنـا فيها ٠ وقالت جريدة « الجور » تطالب انكلترا بفشودة زاعمة النيابة عن مصر فى هاته المطالبة ونحن نعلم أنه لا توجد عهدة ولا اتفاقية تسوغ لها انتحال هذا الحق لنفسها واذا كان لديها مستند من هذا القبيل فلتبرزه لتؤيد به دعواها » (١) ٠

وكما نقلت عن الصحف الفرنســـية ، عرضت أيضا كل ما نشرته الحكومة الفرنسية في كتابها الأصفر وقالت :

« وافتنا التلغرافات العمومية منذ أسبوع منبئة بظهور كتابين أصفرين يتعلق أحدهما بالنيل الأعلى وبحر الغزال والآخر بحوادث الشرق ٠ وتلاوة الكتاب الأول منهما تدل دلالة واضـــحة على أن الكتاب الأزرق الذى أصدره سالسبرى لم يتضمن المخابرات التى جرت بين حكومتى فرنسا وانكلترا بشأن فشودة كما هى وما يثبت ذلك التلغراف الذى بعث به المسيو دلكاس فى ٢ سبتمبر الماضى الى القائم بأعمال سفارة فرنسا فى لندرة ٠٠ » (٢) ٠

وسردت جريدة « الأخبـــار » أهم ما ورد فى الكتب الزرقاء الانجليزية والصفراء الفرنسية دون تعليق (٣) ٠ غير أنها ألمحت الى أن الانجليز اضطروا الى اصدار كتاب جديد بعـــد أن نشرت فرنسا كتابها الأصفر « وقالت لما نشرت الحكومة الفرنساوية كتابها الأصفر بادرت الحكومة الانكليزية فنشرت كتابا ثانيا غير كتابهـــا

---

(١) جريدة « المؤيد » ــ ٢٢ أكتوبر ١٨٩٨ ٠

(٢) جريدة « المؤيد » ــ ٢٠ نوفمبر ١٨٩٨ ٠

(٣) جريدة « الأخبار » ــ ٣٠ و ١٨ و ٣١ أكتوبر ١٨٩٨ ٠

الأول وفيه فصلان أولهما عن المخابرات وثانيهما عن مقابلة السردار ومرشند ... » (١) .

وكما كان من الواضح أن جريدة « المقطم » ترمى الى اظهار كل ما يؤكد هدوء الموقف ويقلل من خطورته ، فقد مالت جريدة « مصر » الى نشر ما يبرر قوة الجانب الانجليزى ، لتظل جريدة « المؤيد » وحدها هى صاحبة الأسلوب الصريح فى معاداة الانجليز، حتى فى سياق أنبائها القصيرة . ومن أمثلة ذلك الأسلوب الذى اتبعته فى سرد خبر ارسال برقية الى الخديو حول وصول السردار الى فاشودة :

« بعث سعادة السردار برسالة برقية الى مولانا الخديو المعظم فى أوربا تحيط شريف علمه فيها بما كان من وصوله فشودة ورفعه الراية المصرية عليها وعودته منها الى أم درمان . ولعله أحاطه علما أيضا بوجود حملة مرشان فيها ورفعه الراية الفرنساوية على معالمها » (٢) .

غير أن أسلوب جريدة « المؤيد » اختلف ، بل واختلف الامر تماما على المستوى السياسى عندما قررت الحكومة الفرنسية سحب رجالها من أعالى النيل وقد كانت جريدة « المقطم » هى أول من أشار الى ذلك ، وذهبت الى حد ترديد شائعات تقول أن انسحاب الفرنسيين جاء تنفيذا لأوامر انجليزية : « .. وقوم يقولون بل أن الحكومة الانكليزية هى التى أمرت مارشان ورجاله أن يرحلوا عن فاشودة ووادى النيل لأنها لا ترى خيرا فى زيادة المهلة » (٣) .

---

(١) جريدة « الأخبار » ــ ٢ نوفمبر ١٨٩٨ .

(٢) جريدة « المؤيد » ٢٧ سبتمبر ١٨٩٨ .

(٣) جريدة « المقطم » ــ ٢٨ أكتوبر ١٨٩٨ .

كما تغيرت لهجة جريدة « المقطم » واستبدلت أسلوب التهديد بأسلوب التهدئة السابق وقالت :

« مسألة فشودة ـ يقال في لنـــدن على ما روت الجرائد من أخبارها أنه اذا كانت الحكومة الفرنسية لا تسترجع مرشان من فشودة فالحكومة الانكليزية تأمر بانزال الراية الفرنسوية عنهـــا وبطرد الفرنساويين من الأراضي المصرية ثم تترك لفرنسا الخيار بين الصبر على ما فعلته برجالها أو المبادأة بالحرب والعدوان · وهـــذا يوافق ما نشرناه أمس عن الاشاعة التي شاعت في هذه العاصمة عن صدور الأمر الى مارشان ورجاله بالخروج من فشـــودة ووادى النيل » (١) ·

وبينما بدأت جريدة « المؤيد » في استخدام أسلوب العتاب لفرنسا ، نجد جريدة « المقطم » تمتدح التصرف الفرنسى وتقـول تحت عنوان « انفراج الأزمة واخلاء فشودة » :

« ··· فحق على كل محب للسلم وكاره لسفك الدماء أن يثنى على الحكومة الفرنساوية أطيب الثناء لأنها اعتصمت بالحكمة في حل هذه المعضلة وقدمت حكم العقل على حكم الأميال والأهواء » (٢) ·

واذا كان الرأى العام فى مصر قد صدم بقرار فرنسا سحب بعثتها من أعالى النيل ، فقد كان هذا القرار أيضا بمثابة فشـــل كامل للحملة الصحفية التى تزعمتها جريدة « المؤيد » ضد الانجليز فى مصر منتهزة فرصة وصول الفرنسيين الى فاشودة والتى كانت الصحف تعتبره فرصة للحصول على استقلالها بفضل تأييد فرنسا وتهديدها للوجود الانجليزى فى أعالى النيل (٣) ·

---

(١) جريدة « المقطم » ـ ٢٩ أكتوبر ١٨٩٨ ·
(٢) جريدة « المقطم » ـ ٥ نوفمبر ١٨٩٨ ·
(٣) ابراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، ص ١٨١ ·

وهذا مالم يتحقق بسبب عدم استعداد فرنسا للحرب (١) • وقد جاء ذلك مخيبا لآمال الخديو ، ووصفه بأنه كان أليما على نفسه، وأنه أفقد فرنسا كل قيمة لها لدى الوطنيين فى مصر (٢) ، وهذا ما عبرت عنه جريدة « المؤيد » التى انتقدت بشدة تطلع فرنسا الى منفذ لتجارتها فى أفريقيا توفره لها انجلترا وقالت :

« حقوقنا بين شقى الرحى ـ انكلترا وفرنسا فى النيل الأعلى ـ أفادت التلغرافات العمومية خلال أيام العيد مرات آخرها أمس أن الدولتين الانكليزية والفرنساوية قد اتفقتا وأوشكتا على تحديد نفوذ كلتيهما فى بحر الغزال وان فرنسا قد نالت فى هذا الاتفاق منفذا على النيل الأبيض ليكون باب أملاكها عليه •• ولكن لو أن فرنسا •كانت رضيت من الغنيمة بالاياب فقط ولم تسأل عن عوض ما لقيت لكان لها بقية نفوذ فى مصر ولما قضت على نفسها فى المسألة المصرية القضاء الذى تحبه ضرتها الأخرى • أما الآن وقد انتهى الأمر بها الى أخذ العوض فى النيل الأعلى فليس هو فى الحقيقة العوض عن فشودة ولكنه عن كل نفوذ فرنسا فى وادى النيل من أعاليه الى مصبه لأن انكلترا أخرجت فرنسا من فشودة باسم مصر التى تحتلها » (٣) •

ولقد كان لمسألة فاشودة أثر بالغ للغاية على الرأى العام فى مصر بصورة عامة ـ والصحافة المصرية بصفة خاصة • وبدأت جريدة « المقطم » فى مهادنة فرنسا والاشادة بالحب والوفاق الذى ربط بينها وبين انجلترا ، مستغلة فى ذلك ـ بصورة مباشرة ـ النتيجة التى وصلت اليها مسألة فاشودة :

---

(١) جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٦٨٩ •

(٢) مذكرات الخديو عباس حلمى الثانى ـ جريدة « المصرى » ـ ٨ مايو ١٩٥١ •

(٣) جريدة « المؤيد » ـ ١٥ فبراير ١٨٩٩ •

« فرنسا وانكلترا ـ خطب ناظر الداخلية فى انكلترا خطبة قال فيها أن مسائل الحدود المعلقة بين فرنسا وانكلترا كمسألة الحدود في بحر الغزال وغيرها من الأراضى الافريقية ستحل بالحب والاتفاق » (١) ٠

وذهبت جريدة « المؤيد » فى أعقاب هذا الى معاداة فرنسا بل وتحولت بعد ذلك الى تأييد انجلترا والاشادة بها ، بينما الانجليز يتشددون فى معاملة المصريين ويسيئون الى الخديو (٢) ، لتنتهى بهذه النهاية قصة النضال الصحفى الطويل الذى خاضه الشيخ على يوسف ضد الوجود البريطانى فى مصر ، ولينعقد لواء الحركة الصحفية الوطنية مع بداية القرن العشرين لصاحب « اللواء » مصطفى كامل ٠

---

(١) جريدة « المقطم » ـ ٢ فبراير ١٨٩٩ ٠

(٢) ابراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، ص ١٨١ ٠

المراجع

أولا ـ الصحف اليوميـــة :

١ ـ الاتحاد المصرى
٢ ـ الأخبـــار
٣ ـ الأهـــرام
٤ ـ المقطم
٥ ـ المؤيـــد
٦ ـ مصر

ثانيا ـ دوريـــات :

٧ ـ شوقى الجميل ـ وثيقة غير منشـــــورة ـ مجلة الدراسات الافريقية ـ (القاهرة ١٩٧٢)
٨ ـ عباس حلمى ـ مذكرات ـ جريدة المصرى (القاهرة ١٩٥١)
٩ ـ محمد أمين عبده ـ قضية التلغرافات ـ مجلة الشـــــباب (القاهرة ١٩٣٦)
١٠ـ تقارير ندوة الاتصال الجماهيرى (القاهرة ـ بدون تاريخ)
١١ـ مجلة الهلال ـ تاريخ النهضة الصحفية (القاهرة ١٩١٠)

ثالثا ـ مراجع باللغة العربية :

١٢ ـ ابراهيم امام ـ الاعلام والاتصال بالجماهير ـ القاهرة ١٩٦٩

١٣ ـ ابراهيم امام ـ وكالات الأنباء ـ القاهرة ١٩٧٢

١٤ ـ ابراهيم عبده ـ أعلام الصحافة فى مصر ـ القاهرة ١٩٤٤

١٥ ـ ———— تاريخ الوقائع المصرية ـ القاهرة ١٩٤٢

١٦ ـ ———— تطور الصحافة المصرية ـ القاهرة ١٩٥١

١٧ ـ ———— جريدة الأهرام ـ القاهرة ١٩٥١

١٨ ـ ابراهيم فوزى ـ السودان بين غردون وكتشنر ـ القاهرة ١٣١٩هـ

١٩ ـ أحمد تيمور ـ تراجم أعيان القرى ـ القاهرة ١٩٤٠

٢٠ ـ أحمد رشدى صالح ـ كرومر فى مصر ـ القاهرة ١٩٤٥

٢١ ـ أحمد شهاب ـ انجلترا فى مصر ـ القاهرة ١٩٢٨

٢٢ ـ أحمد شفيق ـ مذكراتي فى نصف قرن ـ القاهرة ١٩٣٤

٢٣ ـ اسماعيل سرهنك ـ حقائق الأخبار عن دول البحار ـ القاهرة ١٣١٢هـ

٢٤ ـ أنور الجندى ـ الصحافة السياسية فى مصر ـ القاهرة ١٩٦٢

٢٥ ـ جلال الدين الحمامصى ـ الصحيفة المثالية ـ القاهرة ١٩٧٢

٢٦ ـ جلال يحيى ـ تاريخ العلاقات الدولية ـ القاهرة ١٩٦٨

٢٧ ـ ———— مصر الافريقية والأطماع الاستعمارية ـ القاهرة ١٩٦٧ .

٢٨ ـ جمال العطيفى ـ حرية الصحافة ـ القاهرة ١٩٧٠

٢٩ ـ حسين فوزى النجار ـ السياسة الاستراتيجية فى الشرق الأوسط ـ القاهرة ١٩٥٣ .

٣٠ ـ حسنين عبد القادر ـ الصحافة كمصدر للتاريخ ـ القاهرة ١٩٥٨

٣١ ـ خليل صابات ـ الصحافة .. رسالة واستعداد ـ وفق وعلم الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٦٧

٣٢ ـ داود بركات ـ السودان المصرى ومطامع السياسة البريطانية ـ القاهرة ١٩٢٤ .

٣٣ ـ سامى عزيز ـ الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ـ القاهرة ١٩٦٨ .

٣٤ ـ سليمة خليل نقاش ـ مصر للمصريين ـ الاسكندرية ١٨٨٤

٣٥ ـ سيد عبد الرازق ـ تاريخ الصحافة العربية ـ القاهرة ١٩٤٩

٣٦ ـ عبد الرحمن الرافعى ـ مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ـ القاهرة ١٩٤٨ .

٣٧ ـ ـــــــ مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ـ القاهرة ١٩٣٩ .

٣٨ ـ عبد اللطيف حمزة ـ أدب المقالة الصحفية فى مصر ـ القاهرة ١٩٥٤

٣٩ ـ ـــــــ الصحافة المصرية فى مائة عام ـ القاهرة ١٩٥٥

٤٠ ـ ـــــــ الصحافة والآداب فى مصر ـ القاهرة ١٩٥٥

٤١ ـ عبد الله حسين ـ السودان القديم والجديد ـ القاهرة ١٩٤٧

٤٢ ـ عبد المنعم عمر ـ المسألة السودانية والوثائق البريطانية ـ القاهرة ١٩٥٢ .

٤٣ ـ على ابراهيم عبده ـ المنافسة الدولية في أعالي النيـــل ـ القاهرة ١٩٥٨

٤٤ ـ عمر الدسوقي ـ في الأدب الحديث ـ القاهرة ١٩٦١

٤٥ ـ عمر طوسون ـ المسألة السودانية ـ القاهرة ١٩٣٦

٤٦ ـ فيليب دى طرازى ـ تاريخ الصحافة العربية ـ بيروت ١٩١٣

٤٧ ـ قسطاكى الياس عطارة ـ تاريخ تكوين الصحف المصرية ـ الاسكندرية ١٩٢٨

٤٨ ـ محمد بدران ـ تاريخ المسألة المصرية (مترجم) ـ القاهرة ١٩٢٣

٤٩ ـ محمد حسين هيكل ـ مذكرات فى الســـــياسة المصرية ـ القاهرة ١٩٥١

٥٠ ـ محمد صبرى ـ الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ـ القاهرة ١٩٤٨ ٠

٥١ ـ محمد فؤاد شكرى ـ نصوص وثائق فى التاريخ الحـــديث والمعاصر ـ القاهرة (بدون تاريخ) ٠

٥٢ ـ ــــــــ مصر والسودان ٠٠ تاريخ وحدة وادى النيل ـ القاهرة ١٩٥٨ ٠

٥٣ ـ مكي شبيكة ـ الســــودان عبر القرون ـ بيروت (بدون تاريخ) ٠

٥٤ ـ هنس رزنر ـ مصر فى عهد الاحتلال الانجليزى (باللغـــة العربية) ـ القاهرة ١٨٩٧ ٠

٥٥ ـ ولى الدين يكن ـ المعلوم والمجهول ـ القاهرة ١٩٠٩ ٠

رابعا ـ مراجع باللغات الأجنبية :

56. Baskette, F. and Sisoars, J. : The ART OF EDITING (New York), 1971.

57. Blunt, W. S. : My Diaries (London), 1919.

58. Budge, E.A.W. : The Egyptian Sudan, (London), 1907.

59. Caix de Saint : Fachoda, la Farnec et l'Angleterre, (Paris), 1899.

60. Cameron, D. A. : Egypt in the nineteenth century, (London), 1898.

61. Castellani, C. : Marchand l'Africian, (Paris), 1902.

62. Castellani, C. : Ver le Nil Francais avec la mission Marchand, (Paris), 1898.

63. Chiol, V. : The Egyptian Problem, (London), 1929.

64. Cocheris, Juies; Situation Internationale d'Egypte et Sudan, (Paris), 1903.

65. Colville, H. E. History of the Sudan Campaign, (London), 1899.

66. Colvin, Auchland : The making of Modern Egypt, (London), 1906.

67. Carbites, P. : The Winning of the Sudan, (London), 1934.

68. Cromer : Abbas II, (London), 1915.

69. Cromer : Modern Egypt, (London), 1908.

70. De Caix, R. : Fashoda, (Paris), 1899.

71. De Freycinet G. : La Question d'Egypte, (Paris), 1904.

72. Dubrency, R. : Les operations militaires en Afrique, (Paris) 1898.

73. Dulreb, M. : Marchand, (London), 1922.

74. Fintaine, A. : The art of writing non fiction, (New York), 1974.

75. Hartman, Martin : The Arabic Press of Egypt, (London), 1899.

76. Hodges, A. : Lord Kitchner, (London), 1936.

77. Landau : Parliaments and Parties in Egypt, (London), 1954.

78. Kirschrer, Allen and Linda : Journalism,, (New York), 1971.

79. Mac Michael, H. : The Anglo-Egyptian Sudan, (London), 1935.

80. Marlowe, J. : Anglo-Egyptian Relations 1800-1953, (London), 1954.

81. Ohrwalder, J. : Ten Years' Captivity in the Mahdiist camp, (London), 1892.

82. Omar, Abd el Moneim : The Sudan Question, (Cairo), 1952.

83. Shawky El Gamal : An Unpublished document in the History of the Anglo-French for the domination in Upper Nile-African Studies Review, (Cairo), 1972.

84. Shebika, Makki : The British policy in the Sudan, (London), 1952.

85. Sladen, D. : Egypt and the English, (London), 1908.

86. Steevens, G. W. : With Kitchner to Khartoum, (London), 1899

87. Teiseire, R. : Marchand et Fachoda, (Paris), 1898.

88. Wood, H. F. : EGYPT under the British, (London), 1896.

89. Young, G. : Egypt, (London), 1927.

ملحق

قانون المطبوعات (١)
أمر عال (٢٦ نوفمبر ١٨٨١)

نحن خديوى مصر :

مادة ١ : لا يسوغ لأحد أن يكون صاحب مطبعة الا بعد أن تعطى له رخصة من نظارة الداخلية وبعد أن يودع عشرة آلاف قرش بصفة تأمين . وللحكومة فى كل حال أن تنزع منه هذه الرخصة عند الاقتضاء .

مادة ٢ : لا يجوز لأحد من أرباب المطابع أن يطبع صحفا قبل أن يقدم لادارة المطبوعات بنظارة الداخلية كتابة معلنة لعزمه على طبعها وكذلك لا يجوز له بأى طريقة كانت بيع ونشر تلك الصحف بعد طبعها الا بعد أن يقدم خمس نسخ منها للادارة المذكورة .

---

(١) الجريدة الرسمية ـ ٥ ديسمبر ١٨٨١ .

مادة ٣ : يصير حجز وضبط أى مطبوع كان فى الأحوال الآتية :

أولا : اذا لم يبرز صاحب المطبوع وصـــلا من ادارة المطبوعات لتقديم الكتابة والنســـخ المقررة فى البند السابق ٠

ثانيا : اذا لم يتوضح فى كل نسخة اسم المحل وسكن صاحب المطبعة الحقيقية ٠

ثالثا : اذا أقيمت أمام احدى المحـــاكم دعوى تتعـــلق بذلك التأليف (وفى هذه الحالة الأخيرة لا يكون الحجز والضبط قطعيين الا بعد صدور الحـكم على صاحب التأليف المذكور من المحكمة المقامة أمامها الدعوى) ٠

مادة ٤ : عدم تقديم الكتابة قبل الطبع أو عدم تقديم النســـخ اللازمة قبل النشر يوجبان مجـــازاة صاحب الطبعـة بدفع غرامة من ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ قرش ٠

مادة ٥ : اذا لم يضع صاحب المطبعة اسمه ومحل ســكنه على كل نسخة من التأليف فيجازى بدفع مبلغ ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ قرش غرامة واذا وضع اسما ومحل ســـكن مفتعلين يغرم مبلغ من ٢٠٠٠ الى ٤٠٠٠ قرش ٠

مادة ٦ : يجوز فى الأحوال المبينـــة بمادتى ٥ ، ٦ استبدال الغرامة بنزع الرخصة وقفل المطبعة ٠

مادة ٧ : يصير اثبات المخالفات بموجب محاضر يحررها مأمور الأثمان أو مأمورون مخصصون يتعينون للتفتيش على المطابع ٠

مادة ٨ : يسرى هذا القانون على مطبوعات الحجر وباقى المطبوعات بسائر أنواعها مهما كانت الطريقة المستعملة بطبعها ·

مادة ٩ : يجوز للحكومة فى كل الاحوال حجز وضبط جميع الرسومات والنقوشات مهما كان نوعها أو جنسها سواء كانت معلقة أو معروضة لنظر العامة أو للبيع وذلك متى تراءى لها أن الرسومات والنقوشات المذكورة مغايرة للنظام العمومى أو للآداب أو للدين ويجازى من نشرها أو حملها أو عرضها للبيع بغرامة من ٢٠٠ الى ٢٠٠٠ قرش ·

مادة ١٠ : كل جريدة أو رسالة دورية تشتغل بمواد سياسية أو ادارية أو دينية وتصدر بانتظام واطراد فى أيام معلومة أو بدون انتظام واطراد لا يجوز ايجارها أو نشرها الا باذن من الحكومة · والاذن يكون مخصصا بشخص المعطى له ويجب تجديده متى حصل تغيير فى صاحب امتياز الجريدة أو النشرة أو رئيس محرريها أو صاحبها أو مديرها ·

مادة ١١ : على أرباب الجرائد أو الرسائل المذكورة فى المادة السابقة أن يدفعوا قبل صدورها مبلغا بصفة تأمين كما يأتى :

اذا تجاوز صدور الجريدة أو الرسالة ٣ مرات فى كل أسبوع سواء كان صدورها فى يوم معلوم أو بكراريس على غير اطراد فيكون مبلغ التأمين ١٠٠ جم · واذا كان صدورها ٣ مرات فى الاسبوع أو أقل فيكون ٥٠ جم ·

مادة ١٢ : يسوغ محافظة على النظام العمومى أو الدين أو الآداب او قفل أى جرنال أو رسالة دورية بأمر من ناظر داخلية حكومتنا بعد انذارين أو بقرار من مجلس النظار بدون انذار ٠

ويسوغ اضافة غرامة من ٥ جم الى ٢٠ جم بكل انذار يصدر ٠

مادة ١٣ : جميع التبليغات التى تصدر من نظارة الداخلية بقصد نشرها يجب درجها مجانا فى صدر أول صحيفة تصدر من الجريدة المذكورة ٠

مادة ١٤ : على صاحب الجريدة أو الرسالة أو من تطبع على نفقته ان يدرج فيها الرد الذى يرد اليه من الشخص الذى حصل التعريض به أو ذكر اسمه فى تلك الجريدة أو الرسالة ويكون نشر الرد فى الثلاثة أيام التالية ليوم وروده أو فى أول عدد يصدر اذا كان ميعاد صدوره بعد انقضاء الثلاثة أيام ٠ ومن خالف ذلك يجازى بدفع غرامة من جنيهين الى ١٠ جم وهذا مع عدم الاخلال بما يترتب على تلك المقالة من العقوبات والتعويضات ويكون نشر ذلك الرد بدون أجرة ويجوز أن يكون مطول الشرح خمسة أضعاف المقالة المردود عليها ٠

مادة ١٥ : اذا استمر صدور الجريدة أو الرسالة بعد تعطيلها أو توقيفها تحت عنوانها الأصلى أو تحت عنوان آخر فيعاقب كل من محررها وصاحب امتيازها وصاحب المطبعة بدفع غرامة من خمسة الى ٢٠ جم عن كل عدد أو صحيفة تصدر منها وهذا فضلا عن نزع رخصة صاحب المطبعة وقفل مطبعته ٠

مادة ١٦ : لناظر داخلية حكومتنا أن يمنع دخول وتداول وبيع الجرائد والرسائل المنشورة فى خارج القطر وكل من أدخل أو وزع أو باع أو وجدت عنده بنوع الوديعة جريدة أو رسالة دورية منشورة فى خارج القطر المصرى وممنوع دخولها يعاقب بغرامة من جنيه الى ٢٥ جم ٠

مادة ١٧ : كل كتابة غير صادرة من الحكومة سواء كانت بالخط أو بطبع الحروف أو بالنقش أو بطبع الحجر لا يجوز نشرها أو لصقها بالشوارع والميادين والمحلات العمومية متى كانت تلك الكتابة تحتوى على أخبار سياسية ومن خالف ذلك يعاقب بغرامة من جنيه الى ١٠ جم يلزم بها بطريق التضامن كل من الفاعلين لذلك العمل والمشتركين فيه وهذا مع عدم الاخلال بالعقوبات التى تترتب على الجناية أو الجنحة الناشئة عن الكتابة المذكورة ٠

مادة ١٨ : على موزعى الكتب والصحف والرسائل والنقوش وعلى الذين يسرحون بالكتب للمبيع أن يستحصلوا أولا على رخصة تعطى لهم بلا رسم فى المحروسة والاسكندرية من مأمورى الضبطية وفى باقى المحافظات والمديريات من المحافظ أو المدير ويجوز لجهات الحكومة المعطاة منها تلك الرخص أن تنزعها عند الاقتضاء ومن يخالف ذلك يعاقب بدفع غرامة من ١٠ قروش الى ١٠٠ قرش فضلا عن محاكمة محررى وموزعى وبائعى تلك الصحف بالنسبة للجنحة أو الجناية التى يكونون ارتكبوها ٠

مادة ١٩ : تؤخذ الغرامة من مبلغ التأمين. وكل نقص لزم تكميله فى ظرف ١٥ يوما لأجل ابلاغه قيمته الأصلية

والا فيعتبر كأنه غير موجود • والحجز والضبط يكون اجراؤهما بالطريقة الادارية وكذلك التغريم أو توقف الجريدة أو الرسالة وتعطيلها فى الحالات المبينة بهذه اللائحة يكون بأمر من ناظر داخلية حكومتنا والأمر المذكور يكون بتا لا مراجعة فيه •

وجميع هذا لا يمنع من محاكمة من يستحق المحاكمة أمام جهات القضاء •

مادة ٢٠ : يعفى أصحاب المطابع والجرائد والرسائل الدورية الموجودة الآن من طلب الرخصة ويعطى لهم مهلة شهرين لتقديم مبلغ التأمين •

مادة ٢١ : كل قانون أو لائحة أو أمر أو منشور مخالف لأمرنا هذا صار ملغيا •

مادة ٢٢ : على ناظر داخلية حكومتنا تنفيذ أمرنا هذا •

صدر بسراى عابدين فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ •

الامضاء

محمد توفيق

الفهـــــرس

	صفحة
مقـدمة	٣
الصحافة المصرية بين عرابى وكرومر	٧
اتجاهات الصحف اليومية نحو القضايا الوطنية . .	٢٣
موقف الصحف اليومية من مسألة السودان . . .	٦٣
الصراع الانجلو فرنسى وانعكاسه على الصحف اليـومية المصريـــة	١١١
المراجـع	١٦٥
ملحق قانون المطبـــوعات	١٧٣

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٢/٥٠١٧

ISBN ٩٧٧ ـ ٠ ١ ـ ١١٩ ـ

الكتاب رحلة الى عقل مصر فى القرن التاسع عشر وروحها من خلال صحافتها اليومية التى كانت تعكس كافة التيارات الفكرية محليا ودوليا ، فلبريطانيا صحافتها ، ولفرنسا صحافتها ، وللباب العالى صحافته ، وللقوى الوطنية على تنوع اجتهاداتها صحافتها ، ومتابعة هذه الصحف جميعا ، واستقراؤها نفاذا الى عالم القرن التاسع عشر يقدمه المؤلف فى دقة الباحث وأمانة المؤرخ وصياغة الأديب ووجدان الصحفى .



مطابع الهيئة المصرية